الأنباء

عدد خاص - تابع

سلطان باشا الأطرش

العدد ١٤٠٧ / الاثنين ٥ نيسان (ابريل) ١٩٨٢ • ٤٨ صفحة - ٣ ليرات

الوداع الكبير

هل تنجح صفحات محدودة ، محدودة ، بتقديم قرن من الزمن هو عمر سلطان باشا الاطرش ؟ وبتقديم صورة كافية عن ايام الوداع الكبير ، وبالذات ساعات التشييع الخمس ، لصقر جبل الدروز ، جبل العرب ؟

حاولنا ما امكن تكثيف الوقائع والمعلومات من حياة هذا القائد المناضل علنا ننجح في تجسيد نضاله ، وبطولته ، وكفاءة ممارساته الثورية طوال حياته التي امتدت عشرة عقود من الزمن .

أما يوم الوداع الكبير فحاولنا تحديده بابعاد ثلاثة :

● جماهيرية ذلك اليوم التي تعدت نصف المليون مشارك في التشييع .

● ووحدوية ذلك اليوم الذي منح الحدود وكرس ونفح الودية قوة وجسدها واقعا وحقيقة .

● ومضامين ذاك اليوم التي وضع لها الرئيس وليد جنبلاط شعارا جاء جديرا بفهم حياة سلطان باشا الاطرش وذلك عندما قال الرئيس وليد جنبلاط :

هذا القرار الوطني العربي المستقل هو القرار الذي بفضله قام سلطان باشا الاطرش ، وهذا هو القرار الذي من اجله قاتل وناضل وضحى سلطان باشا الاطرش . وهذا هو القرار الذي من خلاله انتصر وانتصر وانتصر وعاش سلطان باشا الاطرش .

امر آخر يمكن قوله هو ان ذاك الوداع الجماهيري الكبير ليس بالوداع انه استعادة الابطال واستعادة بطولاتهم .. هكذا كان وداع عبد الناصر ، وكمال جنبلاط وهكذا كان وداع سلطان . انه بطل البطولة من القاهرة الى السويداء الى المختارة .. محاولة تجسيد للبطولات في ذات الجماهير المستمرة .

« الانباء »

مثلث البطولة في وداع الأبطال

من عبد الناصر إلى كمال جنبلاط الى سلطان باشا

٣ سمات ليوم الوداع الكبير:

جماهيري وحدوي .. واطلالة على المستقبل حدّدها وليد جنبلاط على قاعدة القرار الوطني العربي المستقل الذي عاش الباشا له وانتصر به

الرئيس وليد جنبلاط يخاطب الجماهير المحتشدة

سلطان .. رجل من التاريخ وللمستقبل

... وقائع حياة ومواقف بطل .. بقلم سامي ذبيان □ ص ٣٦-٤٨ □

صقر الجبل وعلى يده أحد الصقور

سلطان باشا الأطرش
جبل من الجبل

بقلم ميشال أبو جودة

جاء المقال الذي نشره الزميل ميشال ابو جوده في النهار في ٢٧ آذار ١٩٨٢ مهما في تناوله لسلطان باشا الاطرش ونضاله . وفي ما يأتي نص المقال :

حين هدأ قلب سلطان باشا الاطرش انطفأت منارة على الجبل . وحين أعلن نبأ وفاته مال الكثيرون الى عدم التصديق . ربما لانهم في هذا الزمن المجدب يتمسكون في شراسة بالرموز . الرموز التي تحيي وتحصن . التي تغني الذاكرة وتغلب بها . التي تعلم الحقيقة والامل في الوقت ذاته . وربما لانهم لا يريدون لبطل ان يموت على فراشه . كأنهم يحتجون على نجاح المرض حيث فشل الرصاص وعجزت المعارك .

تعب الجسد . كسيف انهكته حروب طويلة ومواقف ناصعة . من حقه ان يتعب وان يخلد الى الراحة . اذ ليس اشقى على الجسد من الهمم الكبيرة . فهي ترهقه اذ تكرهه على السير معها . ولا يغفر له تعبه او توانيه .

من حقه ان يتعب . فهو سبق القرن الى الولادة . وبعد نعومة اظفاره لم يتنكر لقدره .

التتمة ص ٤٧

مثلّث البطولة في وداع الأبطال

من عبد الناصر إلى كمال جنبلاط الى سلطان باشا الأطرش

جماهيرية نصف المليون ووحدوية فتح الحدود .. والقرار الوطني العربي المستقل

وداع الأبطال زحف لاستبقائهم

التعش على الاكف مجللا بعلم سورية العربية وصورة كبيرة لسلطان باشا الاطرش

وداع الجماهير للابطال بالحجم الذي تم به وداع سلطان باشا الاطرش انما هو لاستبقاء الابطال في نفوسنا وفي حياتنا .. هكذا ودع اكثر من نصف مليون مواطن « صقر جبل العرب » ، وهكذا ودعت الجماهير حبيب اللاين جمال عبد الناصر ، وهكذا ودعت الجماهير نصير المظلومين ومن ليس على صدورهم قميص القائد الشهيد المعلم كمال جنبلاط .. حتى لكان هكذا وداع هو محاولة اقتراب ذاتي من نفس سلطان باشا الاطرش ، او عبد الناصر او كمال جنبلاط .

هكذا ، ولهذا ، كان زحف الجماهير بتلك الضخامة رغم المسافات البعيدة من جبل لبنان الى السويداء في جبل الدروز في سوريا ، ومن الاردن اليها ، ومن الجولان المحتل ، ومن كافة المناطق العربية السورية.

ذاك الزحف الذي بدأ منذ يوم الجمعة ٢٦ اذار ١٩٨٢ يوم فاضت روح قائد الثورة العربية السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ، وثورات العشرينات كلها ، والذي استمر طوال يوم السبت وصباح الاحد ٢٨-٣-٨٢ ، يوم الوداع الكبير ... كان بمثابة اللقاء مع سلطان باشا الاطرش ، مع نضاله ، مع ما جسده من بطولات وصيغ قتال فذة .

الجماهير والقيادات والوفود الرسمية ، بعضها وصل في الطائرات والبعض الاخر بالسيارات العديدة التي تقاطرت قوافل ، والاكثرية من جبل العرب ومناطق سوريا ، زحفت وكأنها غابات شجر تتحرك الى سلطان، الى باشا الثورة والثورات ...

ولقد اتسم ذاك اليوم الكبير باكثر من صفة وسمة ابرزها ثلاث :

ـ الاولى : تلك الجماهيرية التاريخية التي فاقت نصف المليون شخص لذاك اليوم التاريخي المشهود ، يوم العرب مع بطل العرب في جبل العرب . تلك الجماهيرية التي لم تكن الا لعبد الناصر ولكمال جنبلاط ،

حتى لكأن مثلث البطولة والنضال والثورة والقتال تلاقت زواياه بين القاهرة والسويداء والمختارة في جبل لبنان ، جبل كمال جنبلاط .

ـ والسمة الثانية انه كان يوم العروبة ، ذاك اليوم الذي انفتحت فيه الحدود بين لبنان وسوريا والاردن والجولان المحتل دون قيود لتتيح لقاء عروبيا مع بطل من ابطال العروبة . فسلطان باشا الاطرش ، الذي كان هو من دروز الجبل كان في حياته لكل دروز الجبل والعرب ، والذي هو من عرب الجبل كان لكل العرب ، كان كذلك في رحيله لغة عروبة ووحدة وفعل انفتاح حدود وسقوطها .. كان رحيله يشير على العرب بمكمن قوتهم ، قوتهم في فتح الحدود ، وفي الوحدة ..

ـ وثاني السمة الثالثة ليوم الوداع الكبير ، والتي عبر عنها الرئيس وليد جنبلاط في خطابه القصير والمعبر في وداع سلطان باشا الاطرش . عندما قال وليد جنبلاط :

ان القرار الوطني العربي المستقل سيبقى الضمان الاول والاخير لتقرير حركة الجماهير العربية وتحريكها وتدعيمها من اجل بناء مستقبل افضل ... هذا القرار الذي بفضله قام سلطان باشا الاطرش ، وهذا هو القرار الذي من اجله قاتل وناضل وضحى سلطان باشا الاطرش ، وهذا هو القرار الذي من خلاله انتصر وعاش سلطان باشا الاطرش .

هذا الكلام للرئيس وليد جنبلاط اعطى مضامين كثيرة لنضال سلطان باشا الاطرش الطويل والشاق والصعب .. ان هذا الكلام وضع نضال صقر الجبل في اساس مستقبل نضال عربي قائم على القرار الوطني العربي المستقل كما مارسه سلطان وكما يجب ان تستمر ممارسته .

واليوم الكبير ، كاد الناس ان ينسوا انه مأتم ويوم تشييع جثمان القائد الكبير الى مثواه الاخير في عرينه بلدة « القريا » « بتنسيد المياه » ، وظنوه مهرجان عودة سلطان من منفاه مظفرا ، او ظنوه احتفالا بواحد من انتصارات صقر الجبل ان في معركة المزرعة او الكفر او المسيفرة ... وظنوه احتفالا بشفاء الشيخ الجليل من مرض ادخله المستشفى مرارا واوقف حركته منذ فترة وهو في المقعد المباشر من عجزه ...

لكنها الحقيقة ، كان يوم تشييع البطل الى عرينه . فلذلك زحفت الجماهير تمجد الرحيل الصعب ، تمنحه العاطفة والقلب ، وتذرف بعض دموع ، دموع الرجال وسط زغاريد النساء وحداء الشباب ولهفة الاطفال، وتحت رايات سلطان المنتصرة والمرتفعة دائما ، وتحت بعض صوره المبلاة التي ارتفعت فوق الرؤوس ...

انه يوم التشييع لكنه تم وسط حداء الفرح والنصر الذي احبه سلطان . فلقد راحت الجماهير في حلقات وصفوف تحدي وتزغرد ، او تقدم التعازي او تتقبلها . الكل كان صاحب المأتم كما يقولون . كل مضافات السويداء ، سويداء قلب الجبل ، فتحت للجميع تحتضن الضيوف والقادمين . كذلك فان الملعب البلدي في عاصمة الجبل ، السويداء ، اتسع ما امكن لاكثر من نصف المليون مشارك في المأتم الكبير : شيوخ ، نساء ، شباب .. محاربون قدامى ، مقاتلون جدد .. مدنيون وعسكريون .. عرب من كل

سلطان ونجمة الثورة والجماهيـــر

مكان : من سوريا ، من لبنان ، من الاردن ، من الجولان المحتل ، من بعض الدول العربية كالكويت والعراق والسعودية .. وفـــود شعبية ورسمية ، ممثلو رؤساء ، واحزاب، وهيئات ، ودول ..

المأتم الكبير رســـمـــي ، وشعبي .. جماهيري ، وطني . كان من الصعب معرفة اين تقع المنصة الرسمية، لان اتساع الملعب المحتشد بالناس ازدحم بحيث تعذر الانتقال اليه وداخله .. البنايات المحيطة ، الاشجار ، كل ما هو مرتفع حول الملعب ، كل شـــيء احتضن المشيعين بشكل جعلهم متراصين بصعب على حبات الارز التي رشقت بهـــا وفود عدة ان تسقط الى الارض .

الرايات التي ارتفعت : علم بني معروف ذو الالوان الخمسة ، علم سوريا ، ورايـــات الجبل المقاتل ، رايات العائلات والقرى . صور سلطان باشا ، صور سلطان باشـــا وكمال جنبلاط ، صور سلطان باشا ووليـــد جنبلاط ، صور الرئيس حافظ الاســـد ، لم ترتفع لافتات لكن وفد مدينة الشويفات والحزب التقدمي الاشتراكي في المدينة نجح في ابقاء لافتته مرفوعة تقول : « الشويفات تشارك جبل العرب وداع بطل العرب » .

اليوم الكبير كانت في سمائه فلسطين ، الجولان بالذات ، الضفة الغربية وغـــزة بالذات . وكان في سمائه لبنان الذي انتقل بالرئيس وليد جنبلاط ومعه الى السويداء . ولم يكن مستغربا ان تندفع الجماهير تحتضن وليد جنبلاط وتمد اليه الايادي ، وترفعه الجماهير على الاكتاف . وعندما قدمت لـه صورة سلطان باشا الاطرش ورفعها بيـــن يديه هاجت الجماهير في غليان وماجت بدون حدود . وكان الامر نفسه مع قائد الثـــورة الفلسطينية ياسر عرفات .

هل نجحنا في نقل صورة ذلك اليـــوم الكبيـــر ؟

انها خطوط عريضة لما حدث في السويداء . لكن كل مشترك في ذلك اليوم الكبير كـــان له وضع وقصة حيث وجد وسط الجماهير المتراصة .

وبقيت الوقائع ..

● سوريا الشعب والدولـــة احتضنـــت ابنها وقائد ثورتها محاولة ايذاءه بعض مـــا تستطيعه . الرئيس السوري حافظ الاســـد وصل « القريا » مساء السبت ٢٧ اذار حيث دخل بضاعة سلطان باشا الاطرش المفتوحـــة دائما ، وسط الهتاف والتصفيق . والقـــى نظرة على جثمان البطل الراحل يحيط بـــه الامين العام المساعد لحزب البعث العربـــي الاشتراكي عبد الله الاحمر ، ووزير الدفاع نائب القائد العام للقوات المسلحة السورية العماد مصطفى طلاس ، ومسؤولو الحـــزب في السويداء والجبل . استقبله منصـــور سلطان الاطرش ، واللواء زيد الاطرش وال الاطرش ووفود القرى . قرأ الاسد الفاتحة ، والقى كلمة قصيرة اشاد فيها بالبطل الراحل وبمواقفه مستذكرا بطولات رفـــاق سلطان امثال الشيخ صالح العلي ، ابراهيم هنانو ، وحسن الخراط وغيرهم .

ويوم المأتم مثل الرئيس الاسد في اليـــوم الكبير رئيس الحكومة الدكتور عبد الـرؤوف الكسم ، كما حضره وزراء ونواب واعضاء القيادتين القومية والقطرية لحزب البعـــث ، ومسؤولون مدنيون وعسكريون . ثم وحدات عسكرية من القوات الخاصة ومن الشـــرطـــة والموسيقى ، وكلها قامت بواجبها في حفـــظ الامن وضبط النظام الذي كان صعبا توفيره بشكل كامل بفعل الحشود الجماهيرية . كما كانت وحدات طوارئ صحية جاهزة ونولـــت بالفعل معالجة حالات اغماء واعياء .

كما ان مجيء وفد من الجولان المحتل ضم مشايخ ومبطلين قرى مجدل شمس ومسعدة ومين قنيا وبقعاثا وحضر وغيرها ، كان لـــه وقع كبير الا ابى الجولان ، دروز الجولان، رغم الحصار الاسرائيلي المضروب عليهم الا ان يشاركوا في تشييع سلطان باشا الاطرش.

● ولبنان مثل شعبيا ورسميا في اليوم الكبير . تقدم الوفد الجماهيري الكبير الى السويداء الرئيس وليد جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ورئيس الحركة الوطنية ،

وشيخ عقل الطائفة الدرزية الشيخ محمـــد ابو شقرا ، والوزير مروان حمادة . وكذلك وفد الحركة الوطنية اللبنانية الذي ضم مع الرئيس وليد جنبلاط المرفيق نوفيق سلطـــان عضو مجلس قيادة الحزب ، ومحسن ابراهيم، عبد الله الامين ، ومحمود عبد الخالق . كما مثل الحزب التقدمي الاشتراكي باكثر من رفيق مسؤول بينهم الرفيق داود حامـــد ، والرفيق عادل سبور . « في مكان اخر : من لبنان الى السويداء » .

ورسميا مثل الرئيس الياس سركيـــس وزير التربية ربيه معوض ، ومثل رئيس الحكومة شفيق الوزان وزير المال علي الخليل .

● فلسطينيا كان الاخ الفاضل باســـر عرفات في مقدمة وفد المقاومة ، وابو ماهـــر اليماني من الجبهة الشعبية ، وعبد المحسن ابو ميزر واخرون من المقاومة .

● كذلك حضرت وفود ودبلوماسيون عرب واجانب . كما اعلن ان الاردن كان سيشارك بمسؤول كبير .

الكلمات حاولت تجسيد سلطان ونضاله

وليد جنبلاط: القرار الوطني العربي المستقل عاش الباشا له وانتصر من خلاله

الثلاثين ، لم يكن نائبا فقط ، كان محاولة لتجسيد نضال سلطان باشا الاطرش ما أمكن . وهذه الرئيس وليد جنبلاط وجد من المناسبة ضرورة لطرح موقف ، فجاء في مستوى المناسبة . وتحركت الجماهير مع ذلك الموقف نبضا ، تحدي ، تصفق بحيث طال ذلك بمقاس كثيرة ، وهدت مرات عدة .

كلمة الرئيس وليد جنبلاط

وعندما تقدم الرئيس وليد جنبلاط من المنصة لإلقاء كلمته ، انهمرت الايدي بالتصفيق المتواصل ، والهتاف ، والترحيب . ورفعت الجماهير ايديها مرة تحيته فيها وقد رفع كفي يديه بشارة النصر . وعندما ذكر اسم القائد الشهيد المعلم كمال جنبلاط هتفت الجماهير في شبه غليان هادر بشبه الصداء المتواصل . وقد جاءت نبرة الرئيس وليد جنبلاط في كلمته عربية ، رصينة ثابتة هادئة .

وقد القى الرئيس وليد جنبلاط كلمة الحركة الوطنية ، وكلمة جبل لبنان ، جبل كمال جنبلاط ، وكلمة لبنان المقاتل ، لبنان كمال جنبلاط ، وحيات كلمة الرئيس وليد جنبلاط كلمة ذاك الوسط الجماهيري الكبير الذي انطلق من لبنان الى الصومال ، ناقلا همهم ووعيه لمقاتل سلطان باشا الاطرش ، كما عنه رئيس المجلس التنفيذي الاشتراكي ، رئيس الحركة الوطنية اللبنانية .

قال الرئيس وليد جنبلاط في كلمته :

يا شعب سوريا البطل يا بني معروف .

لم تكن يا باشا أنزيهك فخرا أو مجدا أو تكريما أو عزة أو خلودا ، ولم تكن يا باشا للعروبة وللسطين الا مقداما ثائرا ساخطا جبارا عنيدا .

ولم يكن الاستعمار لينتصر وقد سحق مرات ومرات بسيفك يا باشا ، سحقا ذريعا مريرا .

ولم يكن الظلم والاضطهاد والخذلان والغدر لينال منك يا باشا ومن الحق ، وقد كنت يا باشا للحق حاميا صلبا مدافعا صبورا مؤويا حكيما .

ولم يكن جبل العرب وبنو معروف ولم تكن سوريا وبلاد الشام الا لتحييك وتناديك سلطانا .. سلطانا كبيرا .

وها نحن اليوم لنجتمع مجددا من حولك ونحت رايتك ، وقد انبنا من لبنان من سهله وجبله من جنوبه وشماله ، من قبيسه وبيئه ، من تنوخه ومعنه . من لبنان الحركة الوطنية اللبنانية . من لبنان المقاومة الفلسطينية . من لبنان الديموقراطي العربي . من لبنان البندقية الثورية المقترعة . من لبنان كمال جنبلاط .

ها نحن اليوم لنؤكد لك ان القرار الوطني العربي المستقل سيبقى الضمانة الاولى والاخيرة لتقرير حركة الجماهيرية العربية وتحريكها وتدميرها ، من اجل بناء مستقبل افضل .

وان هذا القرار هو المنطلق لتجييش الشعب العربي باسره لمحاربة شتى انواع الاستعمار والاستغلال والاضمحلال والتعصب . وبه فقط وعليه فقط تعود فلسطين ويعلو صوت فلسطين ويعلو صوت العرب في كل مكان .

هذا هو القرار الذي بفضله قام سلطان باشا الاطرش ، وهذا هو القرار الذي من أجله قاتل وضحى وناضل سلطان باشا الاطرش ، وهذا هو القرار الذي من خلاله انتصر وانتصر وانتصر وعاش سلطان باشا الاطرش .

الرئيس وليد جنبلاط يخاطب الجماهير المحتشدة

الشعب الباكي الكبير في السويداء والجماهير

النعش على الاكف مجللا بعلم سورية العربية

الكلمات حاولت تجسيد سلطان ونضاله

- أول من لبى دعوة القومية العربية
- أبناؤك في الجولان يقارعون الاستعمار الصهيوني ويرفضون الهوية الإسرائيلية

الرئيس الاسد ومنصور الاطرش وكبار المسؤولين السوريين امام نعش الراحل الكبير

كلمة المجاهدين القدامى

القائين بدا بتلاوة آي من الذكر الحكيم للشيخ ابو محمد نصر الدين زريق . ثم بدات الكلمات عند الساعة العاشرة والثلث .

كان اول الخطباء السيد منير الرئيس الذي القى كلمة المجاهدين القدامى ، وقال فيها : لقد عاش ثمانين عاما في قلوب اهل سوريا جاهد وناضل لتحرير سوريا وشعاره الدين لله والوطن للجميع .

لقد ثار اكثر من مرة على التسلط التركي وجاد والده شهيدا في سبيل تحرير وطنه . ثم عرض نضاله ضد الفرنسيين ومن اجل استقلال سوريا .

وقال: كان اول من لبى دعوة القومية العربية وسار على راس قوة من بني معروف الى دمشق يخترق شوارعها الى ساحة الشهداء ، ومصطفى كمال قائد الجيش الرابع التركي يقف على نافذة غرفته في فندق تيكتوريا يشاهد رفع العلم العربي فوق دار الحكومة ودار البلدية .

وتحدث عن معارك سلطان هو واخوانه في عدد من المعارك والمواقع .

كلمة الجولان المناضل الصامد

كلمة الجولان ، كلمة دروز الجولان المناضلين الصامدين في وجه احتلال اسرائيل وحصارها ، القاها اللواء نور الدين كنج ابو صالح . وقد قوبلت الكلمة بالهتاف للجولان وبطولاته . ومنها « يا جولان حنا معك للموت ... » .

قال ابو صالح في كلمته : قبل مات سلطان ، قلنا العظماء لا يموتون . نعم ايها السادة ان العظماء امثال ابو طلال لا يموتون انما تغيب اجسادهم ... ومن اعظم منك يا سلطان . فالعظمة بانتسابها اليك تزداد نبلا وشموخا وباضافتها لاسمك تاخذ معناها الحقيقي .

اني لا استطيع هنا تعداد مآثر سلطان باشا قائد الثورة السورية فالتاريخ سيفي الى ذلك . كنت صادقا ، جذابا ، شجاعا ، متواضعا ، رغم عظمتك لانك فارس الفرسان الذي نذر نفسه للاعمال العظيمة .

آمنت بالوحدة فعملت وناضلت في سبيلها نضالا سجله لك التاريخ فكنت القائد والقدوة ، نرفعت عن الدنيا رغم توفرها لديك .

واضاف يقول : ها هم ابناؤك في الجولان في غزة والضفة في القدس والجولان يخوضون معارك النضال ويقارعون الاستعمار الصهيوني . رافضين الاستسلام والحلول التصفوية .. انقل الى روحك تحية ابنائك واحفادك من اهلنا في الجولان الصامد ، الذين يخوضون اشرف المعارك للدفاع عن وجودهم القومي ...

وختم بقوله : هب اهلكم في الجولان ليقولوا للاسرائيليين : اننا لا نخافكم ولو دمرتم بيوتنا ولو فلحتم ارضنا بصواريخكم ، سيقوم من بين الانقاض شبل ليقول : لا للنوبة الاسرائيلية ، لا للصهيونية .

كلمة ممثل الرئيس الاسد

والقى رئيس الحكومة السورية الدكتور عبد الرؤوف الكسم كلمة رئيس الجمهورية السورية حافظ الاسد وقال فيها :

يا ابناء الجبل الاشم . يا شعب سوريا المناضل . اليوم نودع قائد الثورة السورية الكبرى سلطان باشا الاطرش . من كل ارجاء سوريا توافدت الجماهير لتودع بطلا اي بطل . اليوم يغادرنا رجل كانت الرجولة سيرة حياته ... وسيفه هو السيف العربي الاصيل ، وها قد غمد سيف من سيوف العرب .

واضاف يقول : الثورة السورية الكبرى ما زالت هدفا وطريقا للنصر ، وكيف يخضع شعب خرج منه سلطان الاطرش وثوار سلطان الاطرش . وبقيت رايات الحرية والمسيرة والكفر وروابي حمص وحماه وحلب خفاقة في احلام

ممثل الرئيس الأسد: كيف يخضع شعب خرج منه سلطان الأطرش وثوّار سلطان الأطرش

منصور الأطرش: حتى آخر لحظة في حياته كانت هموم الناس وقضايا الوطن همّه

صغاره وطلائع كباره . بل بقيت خفاقة في الذاكرة الوطنية وكيف يستسلم شعب انجب هؤلاء الابطال .

وقال : ايها الوطن الفدى ، يا قائد الثورة . باسم القائد الذي يمسك براية سوريا ضد اعداء سوريا والعرب ، باسم السيد الرئيس حافظ الاسد نحية الاكبار والاجلال نحية الوطن الوفي . ان هذه الارض التي تشيع سلطان باشا الاطرش انما تعبق اليوم برائحة البطولة وقلوب سوريا بشدودة الى السويداء الى القريا الى موطن الفارس العربي وحواه ، الى منبع الشرارة الاولى للثورة السورية قبل سبعة وخمسين عاما .

ان الروح التي دفعت فصائل الثوار الى القتال انما هي الروح الوطنية الحقة . انها حين تواجه العدو انما تواجه اميركا واسرائيل ، وكل سلاح لا يسدد لاسرائيل يسدد الى الامة العربية . لا صديق للعرب الا من يعادي اسرائيل .

وختم بقوله : الى السلاح ، الى السلاح ، والله معكم والامكانية المتواضعة معنا ولنحيا سوريا حرة مستقلة من اجل بناء سوريا قوية ومنيعة لم يستطع المستعمرون ان ينقلبوا على هذا الشعب ، لكن شعب سوريا هزم العملاء وادواتهم وكانت سوريا قلبا وشعبا واحدا وكان شعبها واحدا .

كلمة منصور الاطرش
كلمة جبل الدروز

وعندما تقدم منصور الاطرش ليلقي كلمة آهل التفيد الكبير ، كلمة جبل العرب ، جبل الدروز ، ماجت الجماهير وهتفت في نوع من الاستذكار مؤكدة لمنصور انه يحمل الراية بعد رحيل سلطان باشا الاطرش . وقد عززت ذلك بالرصاص الغزير الذي انهمر من البنادق والمدفعات . انطلق الرصاص غزيرا ، وخلال دقائق متواصلة ، ثم تبع ذلك حداء :

سلطـــان يالي موحـــد جيوش العرب
سيوفك علـــى كل البوادي طايلـــة

ثم القى منصور الاطرش كلمته وسط هذا الحماس الهادر . فقال :

عرفته الاب العطوف الرقيق الذي تدمع عيناه لشكوى مظلوم ، والقائد التاريخي الحكيم ، والانسان العربي المؤمن صاحب القضية صور لا تنتهي عشتها بالسلوك اليومي لوالدي سلطان ، وكل من عرفه يروي الكثير ، اعذروني ايها السادة اذا عجزت الكلمة عن التعبير ...

وقال : منذ مطلع هذا القرن عاش وطننا العربي احداثا جساما تطورات ساحقة ومعارك ضارية ، كان لسلطان في كل منها مواقف وآراء والحديث عنها رواية لتاريخنا العربي الحديث . فمن اعماق تاريخ العرب المجيد استمد قائد الثورة ايمانه ، ومن صلابة شعبنا والتحامه بارضه ونزوعه الى الحرية حمل سلاحه وقاد الثورة السورية الكبرى وشق طريق الاستقلال لهذا القطر . فكانت معارك الاستقلال خطوات على الطريق ، طريق صنع المستقبل العربي وتحرير شعبنا من كل عبوديته .

هكذا صدرت بيانات الثورة ، لن نلقي السلاح حتى تحقيق الوحدة العربية والوحدة الوطنية كانت دائمة ، استند اليها شعبنا عند الثورة فتجسدت واقعة عملية ضد الاحتلال وجيوشه . فكانت معارك الاستقلال خطوات على طريق الثورة التي خاضها شعبنا باستمرار ضد جيوش الاحتلال التركي والفرنسي والصهيوني . انه موقف جذري لا يعرف المساومة واليأس . والحقيقة بسيطة ، سهلة التحقيق والمثال اذا خلصت النية وصدقت الكلمة واقترنت بالعمل والايمان والتضحية .

وقال : حتى آخر لحظة في حياته كانت هموم الناس وقضايا الوطن همه . قالها للرئيس الراحل جمال عبد الناصر عند قيام اول خطوة وحدوية . قال : « لقد قمنا بواجباتنا نحو الوطن والطريق طويل وحملكم ثقيل والتاريخ يحكم والمستقبل معكم » .

وقالها للرئيس حافظ الاسد :

ابو عمار يلقي كلمته

منصور الاطرش يلقي كلمته ويذيع وصية والده

شيخ العقل يلقي كلمته

« لقد قبلنا ببعض الواجب تجاه هذا الوطن والظروف اكثر تعقيدا الان والامانة بايديكم فحافظوا عليها فجاهدوا وناضلوا من اجل انتصارها » .

وقال لقادة الثورة الفلسطينية : « ما اخذ بالسيف يؤخذ » .

وانهى منصور سلطان الاطرش كلمته واعدا بمتابعة المسيرة وبحمل الراية ، راية سلطان مدى الحياة .

كلمة الثورة الفلسطينية

كلمة الثورة الفلسطينية ، القاها قائد الثورة ، الاخ ياسر عرفات (ابو عمار) وسط ترحيب جماهيري كبيرا تصفيقا وهتافا .

قال ابو عمار مستهلا كلمته بالاية الكريمة : « بسم الله الرحمن الرحيم . يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وادخلي في عبادي وادخلي جنتي » .

وقال : ايها القائد ، ايها الحبيب الراحل ، ايها الفارس الذي ترجل ، ترجل وهو يحمل الرايات ، راية هذه الامة لسنين وسنين من اجل كرامتها ومن اجل عزتها من اجل عروبتها من اجل ان تبقى هذه الارض عربية عربية عربية .

ايها الفارس القائد نودعك اليوم ولكن هذه المبادىء التي خططتها وهذا الطريق الثوري الذي سرت فيه ، في طليعة هذه الامة ، هذا الطريق وهذه المبادىء ستبقى من ورائك .

وانني اقول ذلك هنا في ارض سوريا الثورة سوريا العروبة ، اقول لك وهذه الجماهير تودعك باسم الامة من المحيط الى الخليج ، اقول لك ان فلسطين وثورة فلسطين وشعب فلسطين التي احببت والتي ضحيت والتي سرت وناضلت من اجلها ، هذا الشعب اقول لك باسمه امام هذا الجثمان المهد هو المهد والقسم هو القسم والطريق هو الطريق والثورة هي الثورة .

اقول ايها الاخوة في هذا الوقت وفي هذه الايام التي نتربص بنا القوى المعادية ، ضد امتنا العربية ضد سوريا الثورة وضد الثورة الفلسطينية وضد الحركة الوطنية اللبنانية بقيادة اخي وليد جنبلاط . اقول ان هذا التحالف السوري ـ الفلسطيني ـ الوطني اللبناني انما هو تحالف سيخترق طريقه وسيشق دربه في هذا الاتون الملتهب . الملتهب هنالك لدى اخواني وابناء درعا وابناء عشيراتي ابناء بني معروف في الجولان . هنالك في فلسطين المحتلة في الجليل في الناصرة في عكا في النقب في رفح في القدس في يافا في نابلس في الخليل في رام الله في البيرة في كل ارضنا المحتلة من مرجعيون الى الجولان الى النقب .

هذا هو شعبنا الذي حول حجارة بلادي الى قنابل زمنية لتنفجر في وجه العدو .

وعبرة اخرى ايها الفارس القائد اودعك ولكنك مع الشهداء مع الصديقين مع الانبياء اقول لك رسالة من الثوار نحملها الى صلاح الدين . اقول يا صلاح الدين يا سلطان الاطرش هذه الارض ستظل عربية ستظهرها من الصهاينة . الدرب طويل وشاق وصعب ولكنها ارادة الشعوب لا تقهر ولكنها تنتصر وتنتصر وتنتصر . ونردد العهد العهد العهد ، الثورة الثورة الثورة .

☐☐ ثم كانت كلمة الرئيس وليد جنبلاط التي اثبتناها في مطلع هذا الموضوع .

كلمة شيخ العقل

وبعدها تكلم شيخ عقل الطائفة الدرزية الشيخ محمد ابو شقرا الذي قال :

الحمد لله والعبد لله . ولا دافع لحكمه وقضاء .

« يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » .

سلطان قمة شامخة ذاع صيته وشاع ورصع التاريخ بصفحات امجاد تسابت وتسابعت في الخافقين . وعلى يد سلطان ارتفعت منارات الكفاح ، وعلى وميض سيفه وتحت لواء قيادته سار ركب التحرر في هذا الشرق وليس في سوريا وحدها .

« سلطان الاوطان رمز وطنية ونبل ووفاء ، وللعروبة رمز تضحية وفداء، مناقبه مناقب الاسود الصيد والاحرار الصناديد والابطال المراويد .

« مهد طريق الجهاد والنضال ، امام كل بلد مستعمر ! وكسر كل مستعبد . كافح ورفع راية الحرية يوم كان سيف المستعمر مسلطا فوق الرؤوس والخوف مهيمنا على الافكار والنفوس . نضاله هزم الاستعمار واقصاه عن هذه الديار ، ومعارك جهاده للثنه دروسا تجدد ذكرها الاجيال . وان غبط المؤرخون حق سلطان او تجنوا في العهود التي سبقت هذا العهد ، عهد المجاهد القائد الاسد ، المجاهد الوفي الذي قدر الجهاد ، والفضل يعرفه ذووه . ثم ان السطور التي خطتها شفرات السيوف بالاحمر القاني ستبقى ناطقة بحقيقة سلطان ومواقفه الرائعة وبطولته الخارقة النادرة .

ان رثاء الحي في الشاشر والقلوب ليس رثاء بكاء وعويل ، بل تامل واعتبار وتهليل . الله اكبر الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر .

وانتم يا اهل سلطان ، ان كنتم من سوريا ، او كنا في لبنان ، فانتم واياكم قد اصبنا بفقد سلطان ، علم الفضائل والقيم ونبراس الشرف والشمم .

رحم الله سلطان . رحمه الله .

كلمة ممثل رئيس الجمهورية اللبنانية

والقى ممثل رئيس الجمهورية اللبنانية وزير التربية ريمنه معوض كلمة قال فيها :

« باسم صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ الياس سركيس ، وتقديرا لبطل تاريخي خالد من ابطال التحرر العربي ، وتكريما لرجل قائد اقترن اسمه بالصمود والصلابة والنداء ، ودخل التاريخ من ارحب ابواب التضحية والجهاد ، واعترافا من لبنان بالدور الكبير الذي لعبه الزعيم العظيم سلطان باشا الاطرش في مسيرة النضال المستمر حتى اصبح مدرسة وطنية وعنوانا للكرامة والنبل والشجاعة بدفاعه عن الحق والحرية والانسان وعن القضية العربية الكبرى قضية فلسطين .

اضع فوق هذا النعش الطاهر الوشاح الاكبر من وسام الارز الوطني متقدما من سيادة الرئيس حافظ الاسد ، ومن الشعب السوري الشقيق ، ومن الطائفة الدرزية الكريمة ، ومن عائلة الراحل الكبير ، بتعزية لبنان النابعة من احساسه العميق ومشاركته الصادقة في الالم والخسارة ، ومن الايمان بان الابطال لا يموتون بل يحولهم الغياب الى رموز كبيرة في حياة الامم والى منارات مشرقة في حركة التاريخ » .

كما القى فيصل ارسلان كلمة بالمناسبة :

كلمة شمس الدين

واذاع نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، مناسبة وفاة المجاهد الكبير سلطان باشا الاطرش الكلمة الاتية :

« في اجواء الثورة التي يقوم بها ابناء الضفة الغربية وغزة والجولان ضد العدو الصهيوني ، نفقد سلطان باشا الاطرش مجاهدا ورمزا من رموز النضال الوطني ، ومناضلا ضد الاستعمار ، منصوعا في الوطنية ، من رجال الرعيل الاول ، ومؤسسا لمدرسة ثورية تجاوز حجمه انتماله الى طائفة معينة ، وموقع جغرافي الى العالم العربي كله . كان يسعى دائما لتحقيق الامال الوطنية . وقد ودع الحياة الدنيا بصرخة ضد ممارسات العدو الصهيوني في الجولان .

نفقد الله الراحل الكبير بواسع رحمته وانعم على الامة بامثاله » .

كلمة الثورة الفلسطينية :

يا صلاح الدين يا سلطان الأطرش هذه الأرض ستظل عربية سنطهرها من الصهيونية

شيخ العقل :

سلطان قمة شامخة

كلمة الرئيس سركيس :

بطل من أبطال التحرر العربي

الشيخ محمد علي شمس الدين :

مؤسس مدرسة ثورية

الرئيس وليد جنبلاط يتقدّم وفد لبنان

٥٠ ألفاً زحفوا إلى السويداء

وقالوا: في القلب سلطان باشا الأطرش

الرئيس يتقدم وفود المشايخ

وفد لبنان يتقدمه الرئيس وليد جنبلاط ، شيخ العقل ، ابو عمار ، الوزير حمادة في الطريق الى دمشق

وسام لبنان للمغفور له الفقيد الكبير

الوزراء حمادة ، معوض ، الخليل

لبنان لو استطاع كله ان يتحرك مع الرئيس وليد جنبلاط الى السويداء ، الى سلطان باشا الاطرش ، لما تأخر . لكن من الصعب ان يحدث ذلك . من هنا فقد تحرك موكب جماهيري ضخم قدرته الاحصاءات بخمسين الف شخص ، جاء يمثل لبنان كله وخاصة جبل لبنان الذي يحتضن سلطان في صدره .

جاء الموكب يعبر عن وحدة الطائفة الدرزية في لبنان حول الرئيس وليد جنبلاط . فبعد النعي المشترك الذي اطلقه الرئيس وليد جنبلاط وشيخ عقل الطائفة الدرزية الشيخ محمد ابو شقرا والامير مجيد ارسلان ، جاءت المشاركة موحدة ، غالى جانب وليد جنبلاط كان هناك شيخ العقل ، وجمهور كبير من المشايخ الاجلاء يتبعهم الشيخ شريف ابو حيدان وكذلك الوزير مروان حماده ، وفيصل ارسلان جاء ممثلا والده الامير مجيد .

ولقد نقل الحزب بوفد رافق الرئيس وكان مؤلفا من الرفاق توفيق سلطان ، داود حامد ، عادل سيور والمقدم فياض . كذلك تولى الحزب تنظيم المواكب التي انطلقت من الجبل كله وخاصة من منزل الرئيس في شملان. اشرف على التنظيم وكيل داخلية الحزب في عاليه الرفيق هشام ناصر الدين الذي رافق الموكب حتى الحدود .. كذلك كان في عداد الرفاق الذين شاركوا في التشييع الرفيق حافظ الشمعة .

ولقد بدأت مسيرة لبنان الى السويداء منذ يوم الجمعة ساعة وصول خبر وفاة سلطان باشا الاطرش ، واستمرت حتى الساعات الاولى من فجر يوم الاحد رقم الجليد الذي كسا منطقة ضهر البيدر وغيرها .

اما الوفد الرسمي فقد انطلق من امام منزل الرئيس وليد جنبلاط في شملان الذي شهد تدفق الشخصيات الرسمية واعضاء الحركة الوطنية منذ الساعة الرابعة والنصف صباحا ، حيث كان الرئيس وليد جنبلاط في استقبالهم ، وقد غصت ساحة منزل الرئيس في شملان بالسيارات . ولدى وصول رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات ، سار الموكب عند الساعة السادسة الا ربع . وقبل المدرج بقليل توقف الموكب لمدة اربع دقائق بسبب انزلاق بعض السيارات نتيجة الجليد .

ووصل الموكب الى المدرج عند السادسة و ٢٠ دقيقة حيث كان شيخ عقل الطائفة الدرزية محمد ابو شقرا ومعه ١٥ سيارة ينتظرون وصول الرئيس جنبلاط وانضموا الى الوفد الذي التقى فيصل ارسلان ما بين ثغورا والمصنع .

وكانت اللجنة التنظيمية التابعة للحزب التقدمي الاشتراكي تتولى تنظيم السير على طول الطريق الى المصنع . وكان الموكب قد سلك الطريق العسكري دون توقف الى الجمارك السورية ، حيث كانت عشرات السيارات تنتظر .

بدأ الموكب بالانتظام بناء لتعليمات الرئيس وليد جنبلاط وسارت في المقدمة سيارة تابعة لشرطة دمشق بيضاء اللون تطلق صفارات ، لتوقف السيارات التي تسير بالاتجاه المعاكس.

وقد عمل مرافقو الرئيس الذين ساروا خلف الشرطة على ايقاف السيارات ، وسار خلف المرافقين الوفد الاعلامي الرسمي ثم التلفزيون اللبناني ، وبعض الصحافيين حيث اعطى الرئيس تعليماته بوجوب جعل الصحافيين امام الموكب مباشرة تسهيلا لعملهم . ثم سيارة رئيس الحزب وسيارة ابو عمار ووفد الحركة الوطنية، وكانت الجماهير في سيارات صغيرة وأوتوبيسات.

وقد لوحظ ان الموكب كان يسير بسرعة تتراوح ما بين الخمسين والستين كيلو متر في الساعة فقط ولدى وصول الموكب الى جبيلون توقف حوالي ١٠ دقائق ، ووصل الى دمشق في تمام الساعة الثامنة .

وعلى الطريق ما بين المصنع ودمشق لوحظ ان السلطات السورية منعت سير السيارات القادمة من دمشق الى بيروت فبانت الطريق

□ شوارع السويداء وشهباء والقرى السورية الاخرى التي مر فيها الموكب الرسمي اللبناني بدت في غاية النظافة .

□ كان بامكان الشرطة السورية ان تؤمن طريق الرئيس الى المنصة لولا مراعاة شعور الناس خاصة اللبنانيين منهم .

□ وجهت دعوة الى الرئيس لتناول طعام الغداء في السويداء كما وجهت هذه الدعوة الى الجميع بعد الكلمات ، وكانت مدينة شهباء ارسلت وفدا الى المختارة يوم السبت حيث وجه دعوة الى الاستاذ وليد جنبلاط لتناول طعام الغداء بعد عودته من السويداء ، فرد الرئيس بأن الموقف غير مناسب .

□ التشييع استغرق حوالى خمس ساعات ، قال عنها احد المشاهدين انها كانت زمنا طويلا ...

اعداد : جلال محمود - سناء قيس - خلدون زين الدين
مصور : احمد عزاقير - وليد قيس - سلمان قازصوه - وكالة "سانا"
بعثة "الأنباء" إلى السويداء

فورحيل صقر الجبل

نعاه وليد جنبلاط بقوله: أرسى النهج الاستقلالي العربي الإسلامي

قال الرئيس وليد جنبلاط في حديث اجراه معه تلفزيون لبنان :

ـ لا شك أن غيابه اليوم يشكل خسارة كبيرة بالنسبة لحركة التحرر العربي ، لكننا في نفس الوقت نعتبر ان الانتفاضة التي تقوم في الجولان ، الضفة الغربية ، انتفاضة مهمة ، انتفاضة تاريخية قد تكون عليها نتائج كبيرة ومهمة بالنسبة لمستقبل الاراضي المحتلة . لكن ذلك يرتبط بموقف الدول العربية الذي يجب ان يدعم تلك الانتفاضة بكل ما يتيسر من امكانيات ووسائل ، قبل ان تقوم سلطات الاحتلال الاسرائيلية بتهجير اهالي الضفة ، او بتطويع ما تستطيع ان تقوم به ، وان تستولي على الضفة نهائيا وعلى الجولان .

● وعن سلطان باشا الاطرش وثورة ١٩٢٥ قال الرئيس وليد جنبلاط :

ـ سلطان باشا رمز ، ارسى نهجا استقلاليا معروفا ومعينا علينا ان ننتهجه ، ان نستلهم منه ، وان نقوم بنفس الشيء فيما يتعلق بالاراضي العربية المحتلة اليوم .

ـ الاساطير أو البطولات شيء معروف عن ثورة ١٩٢٥ ، لكن بعض المؤرخين ، من العرب والاجانب ، اغفلوا تلك الفترة لظروف تاريخية معروفة . ولا شك ان أهالي الجبل قاموا بواجباتهم من اجل محاربة الاستعمار الفرنسي بما تيسر لديهم من امكانيات وكانت انذاك ضعيفة جدا ، وقاموا بواجباتهم على اكمل وجه واستطاعوا في فترة معينة من التاريخ ان يدحروا الاستعمار الفرنسي في مواقع معروفة ومشهورة بالوسائل المتوفرة لديهم .

● وعن ارتباط المناضل الكبير صقر الجبل بالارض قال الرئيس وليد جنبلاط :

ـ لم يكن ليحب النجول كثيرا استقبل الجيش العربي الفاتح جبال سمسل ، في جبل الدروز وذهب معه وقاده الى دمشق ودخل معه الى دمشق. ومن ثم قام بتورنه ، واضطر الى الهجرة الى امارة شرق الاردن عندما تمكن الفرنسيون تطويع الثورة . وعام ١٩٥٤ اضطر مجددا الى الهجرة الى الاردن لان مؤامرة كبيرة قامت على اهالي الجبل ، جبل العرب من قبل الشيشكلي وهي مؤامرة معروفة .

لكن بقي في الجبل صامدا مع اهله ومع افرباله بمظلم حياته المديدة ، مع اهل الجبل يحيا حياة بسيطة متقشفة ، بقي الحكيم البعيد في سياسة الجبل ، بالرغم من كل ما حاول البعض من مؤامرات ، وما حاولوا ان يفبنوه حله ، حاولوا ان يضطهدوه ، لكنه بقي صامدا وسيبقى رمزا ، وسيبقى بالفعل من الرجال الكبار في تاريخ لبنان وسوريا .

● وعن نضال سلطان باشا الاطرش وتاكيده لعروبة الدروز قال الرئيس وليد جنبلاط :

ـ لم يكن سلطان باشا الاطرش ليؤكد عروبة أو اسلام طائفة الدروز ، لهذا شيء معروف وحتمي ، فقط رفض منطق الاستعمار الفرنسي بنجزئة لبنان وسوريا الى دويلات طائفية ، وهكذا كان انذاك . وارسى النهج الاستقلالي العربي الاسلامي العام الكبير بتورنه والتحق بسائر المناضلين في الشام وسوريا ، وقام بتلك الخطوة الجبارة انذاك .

وفي كلمة اخيرة دعا الرئيس وليد جنبلاط اللبنانيين الى المشاركة في هذا اليوم الوطني القومي الكبير يوم تشييع صقر الجبل الى مثواه الاخير . ولقد لبت الجماهير نداء الرئيس فثلاثت في الساعة السابعة من صباح يوم الاحد في ٢٨ آذار الجاري منطلقة من لبنان الى السويداء عرين المناضل الكبير لوداع نسيج المجاهدين .

وقال في ختام حديثه :

ـ ادعو جميع اللبنانيين الى المشاركة في هذا اليوم الوطني القومي الكبير ، وقد اتفقت بعد التشاور مع الامير مجيد ارسلان والشيخ محمد ابو شقرا على اللقاء بالموكب الشعبي والرسمي في منطقة المصنع في الساعة السابعة صباحا للتوجه الى السويداء للقيام بواجب التعزية .

شبه خالية الا من السيارات المتجهة الى سوريا ، كما توقفت الشاحنات المتجهة الى دمشق من بيروت وبقيت متوقفة الى حين عودة الوفود من السويداء اي الى ما بعد الساعة الرابعة وقد بلغ تعداد الشاحنات ١٨٧ شاحنة كل ذلك لتسهيل سير الموكب الرسمي . كما لوحظ عدم توقف السيارات على جانبي الطريق في قلب العاصمة السورية . وكانت السلطات السورية قد نظمت السير بحيث لم يتوقف الموكب ابدا داخل الشام . ومن دمشق وعلى طريق جبل العرب وقف رجال الامن السوريون على المفارق ، وعند مدخل مدينة شهباء التاريخية انضمت الى الموكب سيارتان تابعتان من الشرطة السورية ايضا . بينما كانت طائرات الهليكوبتر تحوم في الاجواء . وبعد أن اختفت شوهد الطيران الحربي السوري « الميغ » يجوب الاجواء شمالا وجنوبا وفي كل الاتجاهات.

وعلى طول الطريق من الحدود اللبنانية ـ السورية وحتى شهباء كان الموكب يتجاوز السيارات المتجهة الى السويداء وقد حمل بعضها اعلام الحزب التقدمي الاشتراكي والاعلام اللبنانية وصور الشهيد كمال جنبلاط وسلطان باشا الاطرش وصور الرئيس وليد جنبلاط . وكان الموكب يقابل بالتصفيق لدى تجاوزه السيارات الى ان وصل الجميع الى شهباء عند الساعة التاسعة والربع ، فتوقف هناك حوالي ١٥ دقيقة ، وتابع السير فوصل مدخل السويداء عند الساعة العاشرة تماما . وكانت الوفود الشعبية لدى وصولها الى بلدة « عتيل » تتجه جنوبا أو شمالا فتصل الى قنوات لان الشرطة العسكرية حولت سيرها من الطريق الرئيسي الى السويداء .

مكانت « عتيل » وقنوات محطة الجماهير التي سارت من هناك على الاقدام بعضهم حفاة باتجاه السويداء فوصلتها بعد حوالي ثلاثة ارباع الساعة . فيما اخذ الموكب الرسمي بتقدمه الرئيس وليد جنبلاط يشق طريقه بالسيارات وسط الجماهير المتدفقة كالسيل .

وبعد بعض الوقت اطلت السويداء ، يا للمنظر المهيب ، انها بحر من البشر ، وطرقها انهر تصب فيها الوفود ، وارتفعت بنايات حملت الاف الناس .

الموكب ، سلك طريق : الوجاس ، براق ، الصورة الكبيرة ، جزم ، ام حارتين ، خلخلة ، ذاكر ، الصورة الصغيرة ، الرخيمة ، لاهثة ، ام الزيتون ، شهبا ، بردك ، سليم ، عتيل .

فعلى طول طريق عتيل التي تبعد ٤ كيلو مترات عن عاصمة جبل العرب ترى الكل يسير نحو القائد العربي ، نحو السويداء . النساء ، الشيوخ ، الاطفال ، يتطلعون جنوبا وما استوقفهم شيء سوى مرور موكب الرئيس وليد جنبلاط الذي قوبل بالتصفيق الحاد والهتاف والحداء والايدي المرفوعة بعلامة النصر ، على طول الطريق الى حين وصوله الى بعد عشرات الامتار من حدود الملعب البلدي ، فتوقف لمدة تزيد على الـ ٣٥ دقيقة بانتظار من تاخر . وكان بالقرب منه شيخ العقل ، ابو عمار ، الوزير مروان حمادة ، ومحسن ابراهيم ، وغيرهم . واعطى الرئيس تعليماته فانتظم الموكب : رجال الدين اولا ثم الرئيس جنبلاط والى جانبه شيخ العقل وبقية الموكب ، وما كاد الموكب يقترب من الجموع الى الجانب الشمالي من الملعب البلدي ، حتى فصت الطريق العام بالجماهير : فكان الموكب يسير خطوة خطوة .. لكن الجماهير اندفعت لتحية الرئيس وليد جنبلاط الى درجة ان الشرطة العسكرية السورية تحركت بسياراتها لشق الطريق امام الرئيس . لكن دون نتيجة . الكل يريد ان يصافح الرئيس وليد جنبلاط ومن لم يستطع لمس ثيابه او يكتفي برؤيته .

هنا يتوقف الموكب وهنا يسير الصحافيون ومندوبو التلفزيون وقد شلت حركتهم ، وقد وقف البعض على سيارتي الشرطة لالتقاط الصور للموكب ، وفي مدة تزيد على الثلث ساعة لم يستطع الموكب قطع اكثر من بضع امتار . لقد عجزت الشرطة عن تامين الطريق ، فتدخلت عناصر الجيش ثم عناصر الحزب التقدمي الاشتراكي ، الذين امسكوا بايدي بعضهم البعض محاولين فتح الطريق . ولم ينجحوا الا بطريقة واحدة ، وذلك عندما اوهموا الناس ثلاث مرات وكانوا في كل مرة يفرون الطريق الى ان استطاع موكب الرئيس وليد جنبلاط ومعه شيخ العقل الدخول الى ارض الملعب ، وسط هتافات الجماهير التي حملت الرئيس وليد جنبلاط على الاكتاف والكف واوصلته الى المنصة الرسمية ، والعرق ينصبب منه . وعندما تلفظ طالبا الماء ، اسرع الكل لاحضاره وراح ابريق الشاي المليء بالمياه يتنقل من يد الى اخرى حتى وصل الى الرئيس .

وبعد قليل حومت فوق هذا البحر البشري طائرة هليكوبتر تابعة للجيش السوري فحطت الى الجنوب الغربي من الملعب وهي تقل ممثل رئيس الجمهورية اللبنانية الوزير رينيه معوض ومعه ممثل رئيس الحكومة الوزير علي الخليل.

المنصة الرسمية لا يمكن تحديد مكانها لولا السور الذي اقامه الجيش السوري حولها ، ولا يمكن مشاهدة احد الا من يقف خطيبا .

بقابل المنصة في ساحة الملعب البلدي نعش الفقيد ترفعه السواعد عاليا وقد لف بالعلم السوري . أما الاكاليل فلم يشاهد منها الا القليل ولو انها كانت بالآلاف ، انها حول النعش . يحمل العسكريون بعضها والبعض الآخر هنا وهناك ومن يستطيع ايصالها الى مكانها المخصص . طالما ان الانسان قد تجدر في مكانه لا يمكنه التقدم او التاخر وكانه واقف على صخرة في بحر ، ولا يستطيع السباحة . هكذا كان الناس وسط الملعب البلدي الكبير الواسع الذي ضاق بمودعي القائد العربي . انك تراهم فوق اعمدة الكهرباء ، على سطوح البنايات ، وكم من البنايات عمل اصحابها على اقفال مداخلها مخافة ان تسقط بين ثوتها . كل البيوت المشرفة على الملعب بعيدة كانت ام قريبة كلها نيجان بيضاء : انهم الشيوخ والنساء يحيطون صور قائد الثورة يتحجبون تساقط الدموع لتروي ارض السويداء ارض العطاء ، كيف لا وقد احبها سلطان وضحى من اجلها بسلطان .

البعض الاخر ضاق ذرعا من الازدحام فجلس على القناطر ، ومن لم يستطع الذهاب بعيدا سقط ارضا ، فارتفعت صفارات الدفاع المدني مستدعية الممرضات والممرضين للحضور فورا الى مستوصف السويداء حيث كانت السيارات تنقل الاشخاص الذين هبطوا على الاكف للوصول الى السيارة .

قبل بدء الكلمات كانت المحطة وكانها في عرس فهنا حلقة للرقص وهناك جموع تندب واخرى تنشد الجوفيات وتقول :

يا باشا واظهر سعدنا
ما « طيح » عليك علينا
بالسما بقصف رعدنا
حجر بيارق مشينا
والله لولا حسدنا
عالبشر كنا اعتلينا

* * *

« سلطان يا مروي السيف من الخباب
ياما شبع الطير من لحم العساكر »

* * *

يا راكب فوق نجديه
لو زغرتت تسبق الطير
خذلي سلامي بطل حبا
لسلطان اللي بالقريا
عاداتوا كسر الطوابير
سلطان يا ذيب الشلية
يا حماة البيض الفناوير .

جبل العرب كله بكى ، كله حدا ، الكل قال : الله اكبر ، يا سلطان رحمك الله ، يا بطل العروبة يا فخر بني معروف يا قاهر فرنسا ، يا داحر الاستعمار ، يا محصل شرف العربان يا محرر لبنان وسوريا يا سلطان .

مشهد لا يمكن وصفه تنتابك قشعريرة وقصة تتساقط دموعك الكل ينتبه على طريقته الخاصة الكل يرثيه ولا تعرف انت بين بشر مثلك ام انك وسط بحر يعلوه الزبد الابيض .

مكبرات الصوت تبدد الامواج الصوتية توقفها احيانا تهبجها احيانا اخرى وتبكيها ، وما ان وقف متصور سلطان الاطرش ليتكلم حتى خرس الرصاص .. الاف الطلقات دوت في سماء السويداء وسط صيحات الضباط لوقف اطلاق النار ، دون جدوى ، كل من كان معه مسدس رشاش افرغ مخزنه كذلك الدوشكا والـ ٥٠ ولم يتوقف الرصاص الا بعد ان طال انتظار متصور الاطرش ونابع خطابه .

وعندما اعلن عريف المهرجان اسم الرئيس وليد جنبلاط خطيبا هاجت الجموع مصفقة وكان رياحا هبت في سهل مملوء بالسنابل . الكل يهتف وليد بك ، وليد بك ، كلنا رجالك وليد بيك ... وقد توقع الرئيس عدة مرات بسبب التصفيق الحاد وفي كل مرة يرفع شارة النصر .. لقد بكى مرات ومرات .

ورددت الجماهير مع نسيخ العقل محمد ابو شقرا : الله اكبر الله اكبر الله اكبر ثلاث مرات . وعند الواحدة الا عشر دقائق انتهت الكلمات ، شكر العريف المشاركين واخذت طائرة هليكوبتر تجوب سماء السويداء عدة مرات وبعد ان خف الازدحام في الملعب البلدي قليلا وضع النعش على سيارة بدفع الى مكان قريب حيث نقل بواسطة طائرة مروحية الى مسقط راسه « القرية » لبواري الثرى ، بعد ان عدل برنامج التشييع حيث كان من المقرر ان يحمل النعش الى امام مركز حزب البعث في السويداء ثم يطاف به من القرى التي شهدت معارك ضارية ضد الفرنسيين اثناء الثورة العربية الكبرى مثل الكفر والمزرعة لكن عدد المشاركين فاق كل تعديل ، اذ انه زاد على النصف مليون وهذا ما قلب كل المقاييس فاخذ الحابل بالنابل ولم يعد يعرف المسؤول من غير المسؤول حتى ان بعض الرسميين لم يتمكنوا من تادية واجب التعزية كما هو معروف والمنصة لم تعد منصة... وبقي المجال سيد الموقف .

ثم غادر الوفد الرسمي اللبناني السويداء عند الواحدة مودعا بالهتاف والتصفيق والمازر كما استقبل في شهباء .

لغة القلب بين الجماهير ووليد جنبلاط

جماهير سلطان وجبل العرب اندفعت الى الرئيس وليد جنبلاط تحتضنه بالصدر والقلب تحييه بالعيون والأيدي

تحية من الرئيس للجماهير

الجماهير رفعت الرئيس وليد جنبلاط على الاكتاف

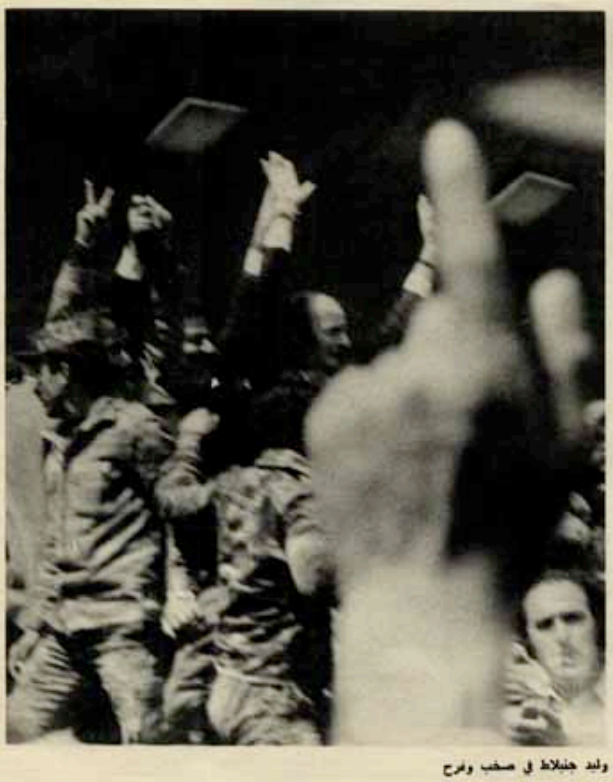

هكذا تدافعت الجماهير نحو الرئيس وليد جنبلاط في صخب وفرح

فارس ترجّل ولم يرحل

خالد في قلب الجماهير العربية وحركتها ومستقبلها وانتصاراتها

يقولون وجه السيف أبيض دائماً = وما ابيض إلا وهو أحمر بالدما
فإن كان دفع الشر بالرأي حازماً = فما زال دفع الشر بالشر أحزما
تأملت في صرف الزمان فلم اجد = سوى الصارم البتار للسلم سلما
فما العيش إلا أن تموت أعزة = وما الموت إلا أن نعيش ونسلما

رجل مِن التاريخ وللمستقبل

سلطان باشا الأطرش

حيَاة إمتدّت قرنًا مِن الزمن حوّلتها البطولات إلى قرون
صَقر جبَل العربَ .. مواقع ومواقف وطروحَات

بقلم سامي ذبيان

عندما ودعت الامة العربية وبالذات مصر الرئيس جمال عبد الناصر، وعندما ودعت الامة العربية وبالذات القائد الشهيد المعلم كمال جنبلاط ، وعندما ودعت الامة العربية وبالذات سوريا صقر الجبل وشيخ المجاهدين سلطان باشا الاطرش ، عندما ودعتهم ذاك الوداع الجماهيري الكبير الضخم والحاشد ، انما كانت تعبر عن التزامها بقيادتهم ، بمبادئهم ، بنضالهم ، بما جسدوه ويجسدونه من صيغ نضال اكان سلما ام حربا .

ومع ذاك الوداع الجماهيري الضخم الذي جرى للمناضل الكبير سلطان باشا الاطرش ، عادت الامة العربية بذاكرتها الى عبد الناصر وكمال جنبلاط ، معبرة عن خسارتها لقادتها التاريخيين .. لكن الامة العربية وهي تحتشد في هكذا مناسبات تشييع ووداع ، بتلك الجماهيرية انما تعبر عنها هي الباقية ، وهي القادرة ، وهي الحافظة لتراث القادة ، وبالذات لتراثهم النضالي ، لانها امة نضال اولا واخيرا . نضال ضد التجزئة ، ضد عدوها المغتصب اسرائيل ، وضد صيغ الفقر والبؤس والتخلف ، ونضال من اجل الحرية والتقدم والسلام . لذا ، اي دراسة لتراث عبد الناصر ، وكمال جنبلاط ، وسلطان الاطرش ، تظهر وحدة الطروحات ، رغم اختلاف الازمان والمناسبات : فمن قول عبد الناصر « ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » ، الى قول كمال جنبلاط ان لا بد من العنف عندما تعجز كافة الصيغ اللاعنفية عن تحقيق اهداف الشعب ، الى قول سلطان الاطرش « ما اخذ بالسيف ، بالسيف يؤخذ » ... انها طروحات نضالية ثابتة .

تجسيد طموح الامة العربية

ولقد كان سلطان باشا الاطرش مجسدا لتلك الطروحات النضالية تجسيدا صحيحا وسليما . ولقد جاء زحف الامة العربية الى دمشق ، فالسويداء ، فالقرية ، مثواه الاخير ، يوم الاحد في ٢٨ آذار ١٩٨٢ لوداعه الاخير ، معبرا عن التقدير الكبير لتلك الطروحات ، ولنضال صقر الجبل منذ مقارعته الامبراطورية العثمانية الى نضاله ضد الاستعمار الفرنسي الى ثوراته ضد التسلط والظلم والتفرقة ، الى دعمه لنضال الوحدة العربية الذي جسده عبد الناصر ، ولنضال التقدم ومواجهة الاحلاف الذي جسده كمال جنبلاط ، الى دعمه لنضال المقاومة الفلسطينية من اجل تحرير فلسطين ، الى دعمه كافة اشكال النضال العربي لتحرير الارض العربية وتوحيدها وتحقيق عدالة العيش لشعوب الامة العربية.

جسد سلطان باشا الاطرش قرنا من الزمن ، ولقد جاءت حياته كلها قمما مرتفعة ، شاهقة في التاريخ العربي ، وان كان ابرزها نضاله ضد الاستعمار الفرنسي عندما قاد ثورة ١٩٢٥ ببطولة نادرة ، نال معها لقب « صقر الجبل » او « كبير المجاهدين » و « شيخ المجاهدين » ...

وقائع حياة كبيرة

سلطان باشا الاطرش ، هو سلطان بن ذوقان بن مصطفى بن اسماعيل الاطرش . اذن والد سلطان هو ذوقان الذي قاتل ضد الاتراك ، واعدم شنقا في دمشق عام ١٩١١ ، قيل ان سلطان هو من مواليد ١٨٩١ ، او ١٨٨٩ او ١٨٨٨ . غلبا قال ابنه الوزير السابق منصور ان والدي لم يسبق ان حمل هوية . ولد في القرية او القريا (مع تشديد الياء) ، التابعة لمحافظة السويداء في سوريا .

تعلم سلطان باشا في مدرسة القرية وتتلمذ على يد مشايخها ، ودرس على الفروسية بنت نعومة اظفاره . واشترك ، وما زال في القائمة من عمره ، في محاربة الاتراك تحت راية والده ذوقان : فكانت تجربته النضالية الاولى في معركة « الكفر » عام ١٩١٠ . وهي معركة كانت ضد سامي باشا الفاروقي كانت تجردها الامبراطورية العثمانية على جبل الدروز ، او جبل العرب ، لكسر شوكته . وعندما اعدم والده عام ١٩١١ كان سلطان في خدمة العلم .

تزوج باكرا ابنة عمه « غازية » ابنة غايز الاطرش . لكن توفيت بعد سنة من الزواج . ثم تزوج « تركية » ابنة ابراهيم فخر من نجران ، فانجبت له طلال ، ومنصور ، وناصر ، وطلال الثاني (لان الاول توفي) ، ثم من البنات غازية ، ومنى ، وزمرد ، وزكية ونايفة وعايدة ومنتهى . لكن زوجته تركية توفيت مع مطلع العام ١٩٨٢ .

الشقاء علي (توفي منذ خمس سنوات) خاض معاركه ضد الاتراك والفرنسيين مع سلطان ، بحصني استشهد في معركة الكفر عام ١٩٢٥ ، وزيد الذي فاد حيطة من السويداء باتجاه راشيا وحاصبيا . انتخب نائبا عن قضاء صلخد ، ثم دخل الدرك واصبح في رتبة لواء ثم تقاعد .

سلطان وثورة الشريف حسين

ثورة الشريف حسين في الحجاز ضد الاتراك هي اولى الثورات العربية التي نادت باستقلال العرب وحريتهم ، وهي اولى الثورات التي خرجت عن خط حركات التمرد الفردية ضد الوجود التركي خلال ثلاثة قرون . وكان سلطان باشا الاطرش احد قادة ثورة الشريف حسين في نواحي السويداء وشمال الاردن .

في العاشر من حزيران ١٩١٦ ، اعلن الشريف حسين ثورته ضد ظلم الاتراك ، وارسل ابنه فيصل لاحتلال الاردن وسوريا ، واسند القيادة العامة في جهات جبل الدروز ونواحيه الى سلطان باشا الاطرش الذي لعب الدور الاول في رد الهجوم التركي العنيف باتجاه الحجاز . فواصل نضاله ضد الاتراك العثمانيين بالتنسيق مع سائر الوطنيين العرب في الشام ، وارسل بدوره ثلاثمائة من رجاله لمجابهة الاتراك على طريق الحجاز . وعمل على قطع طرق تموين القوات العثمانية في تلك الاتجاه كما اشترك سلطان الاطرش مع رجاله في معركة « بصرى اسكى شام » ، ودخل قلعتها بعد معركة عنيفة جرت بينه وبين الجيش العثماني في الخامس من ايلول ١٩١٨ م . وواصل سلطان تقدمه الى دمشق مع سائر قوات الجيش العربي واشترك في معركة المزيريب حيث انهزم الجيش التركي بقيادة رضا باشا الركابي . وكان في طليعة القوات العربية التي دخلت دمشق .

وختم سلطان الاطرش المرحلة الاولى من حياته النضالية بدخوله دمشق منتصرا .

يقول سلطان باشا في احد احاديثه حول تلك الحقبة .

دخلنا دمشق قبل وصول الملك فيصل بضعة ايام ، ورفعنا العلم العربي على دارة الحكومة ، وعلى دار البلدية في ساحة المرجة بدمشق .

من معاركه المنتصرة على الاتراك معركة « تل المانع » قرب « الكسوة» وبومها اسر سلطان قائد الفيلق التركي رضا باشا الركابي . وكان الاتراك قد انذروه ليستسلم في درعا ، فوصل في زحفه الى « بصرى » ولاقى الجيش العربي في درعا ودخل القلعة . وهناك وجدوا مستودعات القمح ، المصادر من اصحابه ، فقام سلطان باعادته لهم .

سلطان باشا والثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ ــ ١٩٢٨

لم تات ثورة سلطان باشا الاطرش صدفة ، فليست الثورات وليدة الصدف !.. فالفرنسيون والانكليز لم يفوا بوعدهم مع الشريف حسين ، ولم يعيروا اهتماما لمطالب العرب بالاستقلال والوحدة ، فاستصدروا من « عصبة الامم » ومن مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ صك الانتداب ، فغرض الفرنسيون انتدابهم ووجودهم العسكري في سوريا ولبنان ، واحكم الانكليز تواجدهم في فلسطين وشرقي الاردن ... وكان لا بد من ثورات اخرى ، تحاول تغيير الواقع الاستعماري الذي فرضه المستعمرون وكانت النفوس مشحونة بالعداء لفرنسا وللمندوب السامي في لبنان وسوريا باستمرار .

طوال عام ١٩٢٥ ، انتقل سلطان باشا ورجاله الى جميع الامصار ونائب القبائل والعائلات العربية ضد اعمال الفرنسيين واستلئارهم بمرافق البلاد . وكان دائما ، يكشف في احاديثه مع اعيان العائلات في منطقة جبل الدروز (او جبل العرب) فظائع الحكام الفرنسيين وظلمهم وطغيانهم ، وفي طليعة هؤلاء الكابتن « كربيه » الذي اذاق ابناء جبل العرب شتى انواع الظلم . وارسل سلطان باشا ، مرارا ، مذكرات للسلطات الفرنسية ، يطلب فيها استبدال الكابتن « كربيه » ، محذرا السلطات الفرنسية من عواقب تصرفاته . ولكنها اصمت اذانها عن سماع الشكوى ، ومهدت بسكوتها عن جرائمه لغليان في نفوس ابناء جبل الدروز . فبدا يجمع قوة من انصاره وجراطيبه ، ويباشر في اعدادهم لمقاتلة الفرنسيين ووضع حد لنظائمهم . وهذا كي ينجين الفرصة ، فجاءته سريعا !..

دار سلطان ملجأ للمناضلين

اعتاد المناضلون ضد الانتداب الفرنسي اللجوء باستمرار الى بيت سلطان باشا الاطرش كلما اشتدت عليهم مطاردة الفرنسيين لهم . واذهم خنجر واحد من هؤلاء المناضلين . انه من جبل عامل : ثار عدة مرات ضد الوجود الفرنسي ، واستطاع ان يعطل المطار الذي اقامه الفرنسيون قرب صيدا ، بعد ان احرق طائرة كانت جاثمة ، وحطم ارض المطار . فلحقت به القوات الفرنسية ، فلجا الى شرقي الاردن ، ولم يكف عن مضايقة وازعاج الفرنسيين .

وحين اشتدت مطاردة الفرنسيين له ، لم يجد سوى بيت سلطان باشا الاطرش ليحتمي فيه ، لكنهم استطاعوا ان يعتقلوه على باب قصر الاطرش ، في غياب رب القصر ، فحملوه الى السويداء تمهيدا لنقله الى دمشق .

ولما اتصل الخبر لسلطان باشا ، ارسل الى الفرنسيين يطلب اليهم اطلاق سراح ضيفه على ان يقدم لهم اية عدية يطلبونها . فرفضوا وحاولوا ارسال ادهم بحيبا بالمصفحات الى دمشق ، فرابط لهم سلطان نفسه ورجاله في موقع « تل الحديد » على طريق السويداء ــ ازرع : فاستطاع ردهم على اعل ان يجري مفاوضات معهم لاطلاق سراح ضيفه المناضل .

لكن الفرنسيين نقلوا ادهم حنجر بطائرة عسكرية من السويداء الى دمشق ثم الى بيروت ، وسارعوا الى قتله فورا ، يوم ٢٩ اب ١٩٢٢ ، بتهمة محاولته قتل الجنرال غورو .

فاثار ذلك حفيظة سلطان الاطرش والمواطنين في جبل الدروز ، وخاض الفرنسيون معارك حامية ، واضطروا ، بسبب صموده ، ان يضربوا داره بالطائرات فلجا مع عائلته الى شرقي الاردن .

وبعد فترة ، عفوا عنه ، فعاد الى داره في المقرية ــ السويداء .

وبدا للناس ان صلحا قريبا سيعقد بين سلطان باشا الاطرش والفرنسيين ... ولكن الامر لم يكن كذلك .

□□ ساحة السويداء تحتضن تمثالا ضخما لسلطان باشا الاطرش ، وهو يمتطي جواده ، في وثبة عزة واستعداد . تمثال ضخم اقيم تكريما له ولجهاده ولنضاله ، في محاولة لتخليد بطولاته .

□□ رفيقة سلطان دائما تلك المعدلة ، بندقيته التي لم تفارقه في معاركه . ومعها سيوف مرت بيده ، وخناجر بعضها ضمها جناح في دار سلطان ..

□□ وفي السويداء متحف لثورات العشرينات : بعض دبابات غنمها الثوار او حطموها ، بقايا طائرة ، او مدفع . اسلحة استعملوها من كافة الاشكال والقياسات والماركات القديمة .

□□ صديق سلطان حصان مسروج دائما ، على اهبة الاستعداد للتحرك . كان شيخ الخيالة ، وكان شيخ المشاة « البيادي » .. كان يضرب في الارض بقدمين ثابتتين دون تعب ولا كلل . كان صديق الارض ايضا .. احبها ساحة نضال ، واحبها معطاء خيرة ، تعمل بها حرثا وزرعا وغرسا . كم كان يحلو له ان يقلم اغصان شجرة ، او يتعطف موسما .

□□ كان يهوى الصيد منطلقا مزحبه للخيل والرحال فوق بطاح الجبل ..

□□ كثيرة هي الاوسمة والالقاب التي اسندت اليه. قبل بعض الاوسمة وبعض الالقاب . ورفض بعضها . وسرى لقب الباشا بشكل دائم . لكن القاب التدلل هي التي كانت « ثلبق » له كما يقول اهل الجبل : انه صقر السويداء ، صقر الجبل ، انه صقر العرب ...

ثورة الاطرش تتحول الى ثورة سورية

بقي الكره المتبادل بين الاطرش والفرنسيين على حاله . وزاده سوءا تصرفات القادة العسكريين الفرنسيين المنتدبين في منطقة السويداء ، خاصة الكابتن « نومي مارتن » الذي قاد كتيبة صغيرة للقضاء على بعض المجاهدين في قرية الكفر في محاولة للقضاء على جماعة سلطان باشا الاطرش . ولكن رجال الاطرش استطاعوا رده الى السويداء بعد ان قضوا على رجاله . فارسل الجنرال « بيشو » ثلاثة الاف مقاتل « لتاديب » الثائرين ، فباغتهم رجال الاطرش قرب قرية « المزرعة » ، وهزموا حملة « جيشو » واغنموا سلاحها ومعداتها . فاضطر المندوب السامي العام ، « سرايل » ان يطلب نجدات سريعة من حكومته ، وحاول ، في الوقت نفسه ، ان يتفاهم مع الثوار .

بيد ان ثقة سلطان باشا الاطرش ورجاله بالسلطات الفرنسية ظلت ضعيفة جدا ، فوجد سلطان باشا ان الوقت اصبح مناسبا للدخول في صراع عام مع الفرنسيين ، لتحقيق اماني البلاد كلها ، ولم تعد الثورة حكرا لمواطني جبل الدروز ، فقد استطاع سلطان باشا ان يجعل منها « ثورة سورية كبرى » بعد ان سعى الى اجتماعات واسعة بين مجاهدي الجبل وبين الدكتور عبدالرحمن شهبندر زعيم « حزب الشعب » ورفاقه في دمشق : فاتفق الجانبان على توسيع نطاق الثورة ، وجعلها ثورة سورية شاملة ، تهدف الى الخلاص من الفرنسيين وتحقيق الاستقلال الجريح بعد معركة ميسلون .

نداء قائد الثورة يوجه للسوريين

اسفرت الاجتماعات بين المجاهدين واعضاء « حزب الشعب » الدمشقي على ان يتولى سلطان باشا الاطرش القيادة العامة لقوات الثورة ، لما يتمتع به من احترام وتقدير ليس في اوساط جبل الدروز وحسب ، بل في اوساط السوريين عامة في دمشق وغيرها .

وعلى الفور اطلق سلطان باشا نداءه الشهير للسوريين . قال فيه :

الى السلاح ، الى السلاح ...
يا احفاد العرب الامجاد ..

هذا يوم ينفع المجاهدين جهادهم ، والعاملين في سبيل الحرية والاستقلال عملهم . هذا يوم انتباه الامم والشعوب : فلننهض من رقادنا ، ولنبدد ظلام التحكم الاجنبي عن سماء بلادنا .

لقد مضت علينا عشرات السنين ، ونحن نجاهد في سبيل الحرية والاستقلال ، فلنستانف جهادنا المشروع بالسيف بعد ان سكت القلم ، ولا يضيع حق وراءه مطالب .

ايها السوريون

لقد اثبتت التجارب ان الحق يؤخذ ولا يعطى ، فلناخذ حقنا بحد السيوف ونطلب الموت توهب لنا الحياة .

ايها العرب السوريون

تذكروا اجدادكم وتاريخكم وشهداءكم وشرفكم القومي . تذكروا ان يد الله مع الجماعة ، وان ارادة الشعب من ارادة الله ، وان الامم الناهضة لن تنالها يد البغي .

لقد نهب المستعمرون اموالنا ، واستأثروا بمنافع بلادنا، والقوا الحواجز الضارة بين وطننا الواحد ، وقسمونا الى شعوب وطوائف ودويلات ، وحالوا بيننا وبين حرية الدين والفكر والضمير ، وحرية التجارة والسفر حتى في بلادنا واقاليمنا .

الى السلاح ايها المواطنون ..
الى السلاح تحقيقا لاماني البلاد المقدسة .
الى السلاح تاييدا لسيادة الشعب وحرية الامة ..
الى السلاح بعد ما سلب الاجنبي حقوقكم ، واستعبد بلادكم ونقض عهودكم ، ولم يحافظ على شرف الوعود الرسمية وتناسى الاماني القومية .

نحن نبرأ الى الله من مسؤولية سفك الدماء فالمستعمرون هم المسؤولون مباشرة عن الفتنة .

يا ويح الظلم !..

لقد وصلنا من الظلم ان نهان في عقر دارنا ، فنطلب استبدال الحاكم الاجنبي ، فلا يجاب لطلبنا .

الى السلاح ايها الوطنيون لنغسل اهانة الامة بدم النجدة والبطولة .

ان حربنا اليوم هي حرب مقدسة . ومطالبنا هي :

١ ــ وحدة البلاد السورية ، ساحلها وداخلها ، والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة ، مستقلة استقلالا تاما.

٢ ــ قيام حكومة شعبية تجمع المجلس التاسيسي لوضع قانون اساسي مبني على مبدأ سيادة الامة المطلقة .

٣ ــ سحب القوى المحتلة من البلاد السورية ، وتاليف جيش محلي لصيانة الامن .

٤ ــ تاييد مبدأ الثورة الفرنسوية وحقوق الانسان في الحرية والمساواة والاخاء .

الى السلاح ، ولتكتب مطالبنا المشروعة هذه بدمائنا الطاهرة كما كتبها اجدادنا من قبلنا . الى السلاح ، والله معنا ، ولتحيا سورية حرة مستقلة .

الامضاء :
سلطان الاطرش
القائد العام لجيوش الثورة الوطنية السورية

وبرقية الى المستعمرين

كما بعث سلطان باشا الاطرش ببرقية في ٥ ايلول ١٩٢٥ الى رئيسي وزراء بريطانيا وايطاليا ورئيس مجلس النواب الفرنسي ووزير خارجية الولايات المتحدة ، والى صحف عدة يومذاك ، باعتباره كان قائدا عسكريا ومحاورا في آن واحد .

جاء في البرقية :

الدروز وعموم السوريين يقاسون اشد آلام الحكم العسكري الفردي والظلم الفرنسي منذ الاحتلال ، بصورة تهدد السلام دائما ، وتشعل نار الاحقاد بين الشرق والغرب .

ان القوات الفرنسوية التي تساق اليوم لخراب بلادنا وقتل الحرية ومجادي حقوق الانسان ، تضرب النساء والاطفال والشيوخ والقرى الامنة بقنابل طيرانها ظلما وبغيا ، وهذا ما يضطرنا للدفاع عن كياننا وشرفنا حتى الموت . نحمل رجال فرنسا وحدهم مسؤولية سفك الدماء البريئة . نستنجد بالامم المتمدنة ان تبطل رق الشعوب بعد ان ابطلت رق الافراد .

الرد الفرنسي على سلطان

بادر الفرنسيون بمحاولة احباط الثورة باعتقال الهيئة الادارية لحزب الشعب ، واغلاق مقره . وذلك كي تضرب الساعد الايمن « لسلطان الجبل » .

لكن ذلك لم يحقق لهم هدفهم ، بل زاد نار الثورة اشتعالا ، وسارت في طريقها تقفى مضاجع الفرنسيين طوال سنوات ١٩٢٥ ــ ١٩٢٨ ، وسجلت فيها معارك عديدة عرفت باسماء الاماكن التي وقعت فيها . نذكر منها : الكفر ، المزرعة ، السويداء ، عري ، الغوطة ، دمشق ، القلمون ...

واشترك في الثورة كثير من ابناء البلاد من مختلف الطبقات والطوائف .

وسلطان باشا يرد المؤامرة

حاولت القيادة العسكرية الفرنسية ان تدق اسفين الشقاق بين مجاهدي الاطرش في الجبل ومقاتلي حزب الشعب في دمشق ، فلوحت بانها ستحترم استقلال الجبل ، وستقدم امتيازات خاصة لسلطان باشا الاطرش ، شرط ان يوقف الثورة في الجبل . ولكن « صقر السويداء » ، « صقر الجبل » ، كما كان يلقب سلطان باشا ، رفض المساومة على القضية الاساسية ، فاصر على معالجة المسالة السورية بكاملها ، مؤكدا للمفوض السامي انه يطالب باستقلال سوريا بكاملها وانه لا يفرق بين سوريا وجبل الدروز ، بل يعتبرهما بلدا واحدا .

ولم يكن الفرنسيون على استعداد لتلبية مطالبه ، ولكنهم كانوا يدركون في الوقت نفسه اهمية الدور الذي كان يقوم به مقاتلو « صقر الجبل » الدروز .

لذا كان يرى المفوض السامي عن حق بان اضعاف سلطان الاطرش وعزله عن بقية كوادر الثورة ، وفي قلب حوران والجبل بالذات ، من شانه ان يزيل العقبة الرئيسية امام خطته لتصفية الثوار ، الوطنية .

الطائرات الفرنسية تدخل المعركة

كان سقوط صلخد بمثابة هزيمة للثورة في عقر دارها ، وتحديا كبيرا لزعامة قائدها سلطان باشا الاطرش .

وتضايق الثوار من الحصار الذي فرضته السلطات البريطانية في منطقة « الازرق » ولم يبق امامهم سوى اللجوء الى منطقة « اللجاة » الوعرة اخر معقل لهم . وانتقل الى هذا المعقل على اثر سقوط قرى الغوطة في اواخر شهر تموز ١٩٢٦ كافة قادة الثورة الكبار ، وفي مقدمتهم سلطان الاطرش ، والامير عادل ارسلان ، ومعه بعض المتطوعين من الشوف في لبنان . واستطاع الثوار في تلك المنطقة الوعرة ان يصمدوا اكثر من سنة بعد ان قضت السلطات الفرنسية على جيوب الثورة في المناطق الاخرى .

ومع هذا لم تستطع القوات الفرنسية القضاء نهائيا على الثوار المعتصمين « باللجاة » او ابادتهم ، بل اضطر من بقي حيا من هؤلاء وعلى رأسهم سلطان الاطرش وعادل ارسلان للتزوح باتجاه « الصفا » الى الشرق . ولكن هؤلاء لم يستطيعوا البقاء في « الصفا » بعد ان تعرضوا لقصف الطائرات من جديد وبملاحقة الخيالة فانسحبوا عن طريق البادية باتجاه الازرق .

الا ان الاتفاق الفرنسي ــ البريطاني السابق وقف لهؤلاء بالمرصاد ، فلم يسمح لهم بالبقاء في الازرق ، ولم يبق امامهم سوى المنفى الاختياري ، فوجد المناضلون المنفى في صحاري نجد بعد ان تمكن احد اصدقاء الثورة وهو شكري القوتلي من مقابلة الملك ابن سعود ، فسمح لهم بدخول اراضي مملكته .

بذلك توقفت ثورة سلطان باشا الاطرش ، بعد ان ضربت فرنسا سكان المدن والقرى ، خاصة بعد ان قذف الفرنسيون الى ارض المعركة بمائة الف مقاتل وضعوا على رأسهم كبار قادتهم امثال الجنرالات : مارتي ، جيتو ، غاملان ، وبيغان ، سرايل ، وغيرهم . وكانت خسارة الفرنسيين الف الجنود .

لكن الثورة ظلت في العالم عطفا كبيرا على شعوب هذه المنطقة ، ودفعت بكثيرين في عصبة الامم الى الوقوف الى جانب العرب يومذاك . الامر الذي دفع فرنسا للتعديل في سياستها الاحتلالية ، والقبول بتطبيق روح صك الانتداب . واستمر نضال سوريا الى ان وصل عام ١٩٤٥ الى الاستقلال والجلاء ان عن سوريا او عن لبنان .

معارك وبطولات

فرنسا اصدرت حكم الاعدام على سلطان عجاء على النحو الاتي :

« حيث ثبت من التحقيق والمحاكمة انه خلال شهر تموز ١٩٢٥ ثـــارت طائفة هابة من سكان جبل الدروز على الحكومة التي نصبت بشكل شرعي وقامت باعمال عدائية عنيفة ضد الجند الفرنسيين المكلفين بحفظ النظام والامن ، وحيث ان اعمال التمرد هذه قد ظهرت بشكل رئيسي من قتـــل الجنود الفرنسيين في « الكفر » و« الزرعة » خلال تموز واب ١٩٢٥ ، ثم بالمعونات التي قدمتها الى الفئة التي قامت في دمشق والغوطة وبمهاجمـــة عدد كبير من الاماكن المعمورة في الغوطة وفي منطقتي حمص وحماه واخيـــرا في لبنان الجنوبي ، وحيث ثبت لدى السلطات العسكرية الفرنسية بشكـــل قاطع ان سلطان باشا الاطرش هو الذي اضرم بنفسه المحرضين المذكورين وقادهما وانه من اهم المحرضين على جميع الحوادث التي اعقبتها ،وحيث ان ارتكاب هذا المتهم للجرائم المسندة اليه ، ثبت من الانذارات التـــي وجهها الى السلطات العسكرية الفرنسية في تموز ١٩٢٥ قبل معركة الكفـــر بقليل ، التي قتل فيها عدد من العسكريين الفرنسيين ، والسوريـــين ، ومن التفاسير المذاعة في دمشق والقنيطرة في اول ايلول ١٩٢٥ ، والموقعـــة من قبل سلطان الاطرش ، والتي دعا فيها الى الثورة والى التخريب والـــى القتل ، ومن افادة فخري خراط وريضان شلاش ، وحيث انه كان قـــد سبق وحكم على سلطان الاطرش بالاعدام غيابيا في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢ من قبل المجلس العرفي العسكري بدمشق لتمرده بالسلاح وبالقتل ثم منح في عام ١٩٢٣ كما للمغيب للاستفادة من الهدوء . وحيث ان الجرائم الاخيرة المسندة الى سلطان الاطرش اضفت في هذه الحال بالثورة بعد تصميمهـــا والعزم عليها ، وحيث ان هذه الاعمال ادت الى خسارة حياة اكثر من الـف شخص ، وكان لها نتائج اقتصادية مدمرة لسورية ولجبل الدروز ».

لذلك ، ندعو الى ان لا يستفيد هذا المتهم من اي عنصر من عناصـــر الرافة ، لهذه الاسباب حكم عليه المجلس العرفي بالاعدام غيابيا .

دمشق — ٢٧ ايار — ١٩٢٦.

هذه الوثيقة الفرنسية اشارت الى تلك المعارك وطبيعتها ، من هنـــا اعيد تلك المعارك ولنسلط الضوء عليهـــا .

معركة الكفر (٢١ تموز ١٩٢٥) :

اجبر الثوار طائرة فرنسية على الهبوط في قرية « امتان » في جبـــل الدروز في ١٧ تموز ١٩٢٥ ، فحشد الكابتن « تورفان » على رأس فرقـة عسكرية من ١٦٦ جنديا لتسلم الطيارين فنصحه سلطان باشا بالتراجع فرفض فدارت معركة بالسلاح الابيض قتل فيها ثمانية ضباط و ١٠٧ جنود ، ولـم ينج من الفرقة الفرنسية سوى ٥١ رجلا . استشهد في هذه المعركة شقيـق سلطان البطل مصطفى الاطرش .

وكان سلطان قد وصل الى قرية « اسلي » قادما من « ام الرمـان » « واحفان » و « ملح » ثم « عرمان » « فصلخد » حيث احاط بـه عـــدد من المقاتلين . وعندما قدم جنود فرنسيون الى « القرية » فحشرهم على شقيق سلطان ، فرحلوا الى الكفر حيث كانت المعركة فاصلة .

معركة المزرعة (اول آب ١٩٢٥) :

هذه المعركة عرفت بحملة « ميشو » ، وكان عدد الفرنسيين ثلاث كتائب وثلاثة بلوكات ، وبطاريتين ونصف بطارية ، وبلوكين من السيارات الرشاشة. بدأت تلك الحملة من محطة « ازرع » ، كانت من المشاة والاليـــات والمصفحات ، فواجههم الثوار الدروز بقيادة سلطان وهزمهم شر هزيمـــة في « المزرعة » بالقرب من قريتي السجن والمجدل .

وكان الثوار قد قضوا على الحملة من المقرن الغربي فـي « نجران » « وعاصرة » ، وكلهم من جبل الدروز ويبلغ عددهم فقط المائتي مقاتل حيث ضربوا في مؤخرة الحملة وسيطروا على الذخائر والمعدات ، ورغم المدفعية تمكن المقاتلون الدروز من اخمادها ، فتدخلت الطائرات تضرب السويداء لكن المقاتلين والشعب معهم صمدوا واحبطوا الحملة . واستشهد في هذه المعركة حمد البربور اليمنى لقائد الثورة سلطان .

ومن الوثائق ايضا انه عثر في جثة احمد جريود الذي قتل في ٣١ ايار ١٩٢٦ في معركة « جبانا الخشب » على قائمة موجهة من المجلس الوطني الى الثوار ، ذكرت فيها اسماء قادة فرق المساندة الذين وصلوا الى الغوطة ليشاركوا في العمليات المنطلقة من القائد العام سلطان الاطرش، وتبين ان هؤلاء القادة هم زيد عامر ، ابراهيم ابو سالم ، محمد ابو يحيى ، حكمـــت العسلي ، اديب العسلي ، ويحيى شرف . وقد حكمت السلطات الفرنسية على هؤلاء بالاعدام غيابيـــا .

ومعارك اخرى دارت في الغوطة والقلمون بقيادة صياح المحمود ، وزيد الاطرش « شقيق سلطان » ونزيه المؤيد وفضل‌الله الاطرش وحمزة الدرويش وعلي عامر واسعد كنج وشكيب وهاب واسد الاطرش ومنعب الاطرش وفؤاد سليم ، بتوجيه سلطان باشا وتعليماته . ابتدأت تلك المعارك فـي تشرين الثاني ١٩٢٥ واستمرت حتى كانون الثاني ١٩٢٦ .

ومعركة خاصبيا التي افاقت صباح احد تلك الايام المفجرة من العـــام ١٩٢٥ على حداء يغني يقول :

يا فرنســـا والله ما تطيـــح
وتهوني عند بلادنـــا
حنا القشامى مسيطين
ذبح العساكـــر كارتـــا

على غرائب المرض:
• منصور الاطرش

نصب تذكاري في ساحة السويداء نخليدا لشهداء الثورة

بعض المشاركين في ثورة ٢٥ — ٢٨

كان من هواة الصيد

سلطان عام ١٩٠٧ الفتى المتطلع للمستقبل

"يافرنسا والله مانطيع ..
حنّا النشامى مسيطين
ذبح العساكر كارنا"...

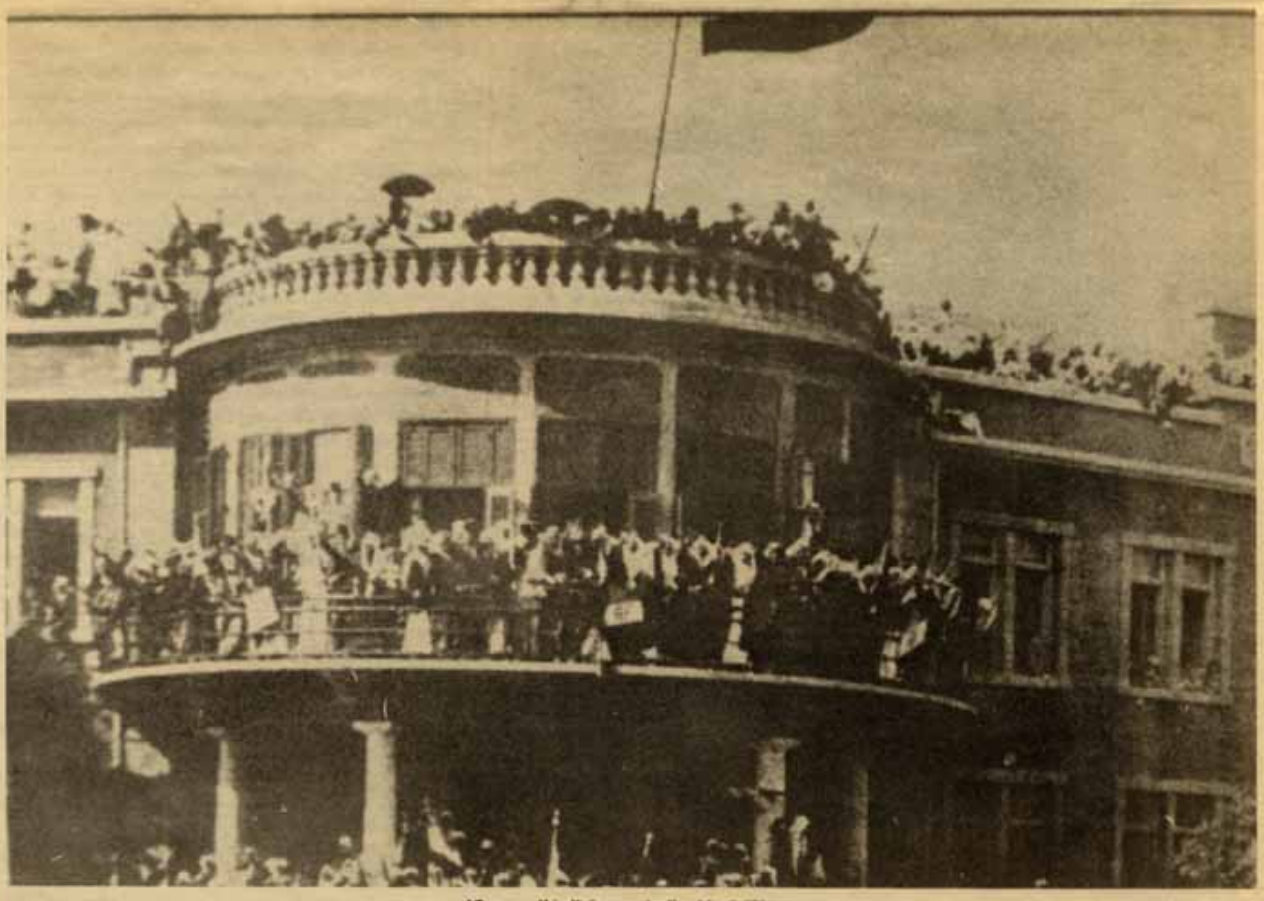

هكذا استقبلت الجماهير عودة السلطان من منفاه

فجاج الاهالي ، واقتلعوا الاسلاك الشائكة ، وربطوا السلالم بعضها الى بعض وراحوا يصعدون قلعة حاصبيا واحدا تلو الآخر ، واقتحموا القلعة بالسلاح الابيض .

المعارك والمواقف على لسان سلطان

كثيرة هي الاحاديث التي نقلت عن لسان سلطان باشا الاطرش ، حتى في سنواته الاخيرة . لكننا دققنا في كثير منها ، لنشر ما هو موثوق وثابت ، ومما قاله عن المعارك ونشرته صحف لبنانية وعربية واجنبية :

ـ كان لمعاهدة سايكس ـ بيكو وقعا سيئا في نفوسنا ، لانها شكلت طعنة لامالنا وطموحاتنا في الوحدة الوطنية والسيادة والاستقلال ، وفي ايلاك خيرات بلادنا من اهاليها ، وكان رد الفعل قيام ثورات وانتفاضات عديدة في البلاد . منها في دير الزور ، وحلب .

وبعد معركة ميسلون الشهيرة بقيادة الشهيد يوسف العظمة ، ثار الوطنيون في كافة البلاد العربية ، واصبحت البلاد تغلي كالمرجل ، وحدثت بدايات مهمة تعبيرا عن النقمة الوطنية منها قيام بعض اهالي حوران من قرية عزالة بمهاجمة رئيس وزراء سوريا يومذاك علاء الدين الدروبي الذي نصبته فرنسا بعد خروج فيصل .

وفي الشمال انطلقت ثورة ابراهيم هنانو وثورة الشيخ صالح العلي . فكان رد فرنسا كبيرا ، بالضغط والارهاب والملاحقة فاضطر هنانو للحضور مع بعض رجاله الى دارنا في « القرية » وقد رافقه رجالنا الى حدود عمان في الاردن .

كذلك وقعت محاولة اغتيال الجنرال غورو في القنيطرة عام ١٩٢١ ، وكان ادهم خنجر من جبل عامل في لبنان من المتهمين بمحاولة اغتياله ، وهو من الذين كانوا حول فيصل والمايلين على اتلاق راحة الفرنسيين .

وحادثة ادهم خنجر كانت واقعة وطنية . كان ادهم متوجها على راس مجموعة من رجاله لنسف محطة توليد كهرباء دمشق ، فانكشف الامر ، فلاحقتهم السلطة الفرنسية ، فالتجاوا الينا ، لكن احد الجنود تعرف اليه ، فالقوا القبض عليهم . وعندما علمت بالامر ، اعتبرت ان ذلك يشكل اهانة مباشرة لتقاليدنا وعاداتنا واعرافنا الوطنية والاجتماعية فحمية الضيف من شيمنا واخلاقنا ، ونارت الامور ، فهرب مدير الحامية الفرنسية الى السويداء خوفا على حياته . وذهب اخي علي لمفاوضة المستشار واقنعه ان هذا خرق لتقاليدنا ، فلم تصل المفاوضات الى حل ، واعتبرنا هذا الامر ظلما وتسلطا فلا يستطيع المستعمر منع الثائر من التنقل في ارضه وبلاده والعمل لها .

وبعد فشل كافة المحاولات لاطلاق سراح ادهم ، اجبانا الى التحرك العسكري ، تجركزنا في قرية « تعلة » غرب السويداء لقطع الطريق على السيارات التي حملت ادهم الى دمشق ، وفي ٢١ تموز ١٩٢٢ اقبلت ثلاث سيارات بصفحة قادمة من درعا وهي تنقل ادهم . فهاجمناها واستطعنا تحطيم احدى الصفحات بركابها ، واسر الثانية وفرت الثالثة نحو درعا ، وكنا ١٥ نفرا « اي رجلا » فقط . وقتلنا قائد المجموعة وهو الملازم بوكسان .

بعد تلك المعركة انطلقت الثورة ، ورحت اطوف القرى وادعو للقتال ، واتسع نطاق الدعوة ووصل الى كافة المناطق حتى دمشق . فاتصل بنا بعض زعماء الميدان وفي مقدمتهم المجاهد المرحوم الشيخ محمد الاشمر ، واتفقنا على عمل مشترك بين الجبل ودمشق وغيرهما .

ـ والموضوع كان سياسيا ، لاننا رفضنا فصل جبل الدروز عن سوريا . فبعد ثورة ١٩٢٢ ، اصدر الجنرال غورو قرارا باقامة « دولة جبل الدروز » وفصلها عن دمشق ، واعتبرنا ذلك تقسيما للبلاد . وتولى رئاسة حكومة الجبل الامير سليم الاطرش ، الذي حاول التوفيق بين السياسة الفرنسية والقوى المحلية ، لكننا رفضنا تقديم اي تسهيل لاننا ضد التقسيم . مع انهم منحونا العفو ، لكننا بقينا في الخيام .

وكانت سياسة الفرنسيين مثل كاريه والجنرال نيفان التدخل وزرع الشقاق . وقام كاريه بقتل احد المستجيرين بنا ، ورموه بباب سراي السويداء كذلك عدل قانون الوراثة والمهر ، وحاول التدخل بالشؤون الدينية ، وحاول اضطهاد الزعامات ، وخاصة الطرشان . واجبر الناس على اعمال السخرة . وفرض اجواء الوشايات والارهاب والاحتقار والظلم والمنجهية والسجون . لكن الدروز رفضوا ذلك كله ، وهبوا ضد تلك السياسة . واشتد الامر طوال الفترة بين ١٩٢٢ و ١٩٢٥ .

ـ وفي ١٤ تموز ١٩٢٥ دعانا القومندان مارتان لحضور عيد فرنسا وارسل مساعده الملازم فرنيه بدعوتي شخصيا الى السويداء للمشاركة بالعيد والمعاهدة . لكن الشك خامر نفوسنا عندما وصلنا قرية « رساس » ، شعرنا بالريبة ، فارسلنا خيالا الى السويداء يستطلع الحقيقة من احد الاصدقاء . وتبين ان الوضع « غير نظيف » . وفور عودة الخيال ، قبضت السلطات على الصديق ، وشنت حملة اعتقالات شملت عبد الغفار الاطرش وحمود نسيب الاطرش ايضا ، ونفتهم الى « الحسكة » فانطلق الامير حسن الاطرش من الشام ليبلغنا الخبر . فكان الرد انطلاق الثورة ، وانطلقت مع الانتصار ونحن نردد هذا الحداء الشعبي :

حرايبا ودها نصير ... ما هي على جبال الخفا
العام في بطن العشب ... واليوم بيروس الشفا

وانطلقنا من المقرن الجنوبي ، من قرى القريا ـ او القرية ـ ، بكة ، ام الرمان ـ الفارية ـ عنز ـ المشوق ـ حما ، امتان ، جلح ، عرمان ... وعندما اجتزنا هذه القرى اصبحنا جيشا من الثوار .

وكانت البداية فيلمنا باسقاط طائرة استكشاف فرنسية في ١٩ تموز ، وفي ٢٠ تموز هاجمنا مركز صلخد ، واحرقنا مركز البعثة الفرنسية .

ـ لكن المعركة الاولى كانت معركة الكفر . فهي قرية فوق تلال ومسالك وعرة واحراج سنديان ، وترتفع ١٢٠٠ متر . تجركز فيها نورمان مع كتيبة من

سلطان باشا الاطرش وعبد الرحمن الشهبندر ضد الاحتلال

جائزة سلطان باشا الأطرش

تمثال صغير للنسر السوري مطلي بالذهب طوله ٢٥ سم. وعرضه ١٣ سم. محاطاً بسيفين، سيف حمله لنصرة الحق ودحر الباطل وآخر للحفاظ على كرامة شعبه ووطنه.

Trofeu Sultan Bacha El Atrach

جائزة سلطان قائد ونسر وسيفان

وصية سلطان باشا الأطرش سياسيّة نضالية اختصرت بعض مبادئه ان في حياته أو في نضاله الطويل قال: مَا أُخِذ بالسَيف بالسَيف يؤخذ

وصية سلطان باشا الاطرش ، ليست بالوصية العادية . انها وصية سياسية . ونبذة نضال اختصرت بعض مبادىء المناضل الكبير التي مارسها في حياته قال : واعلموا ان وحدة العرب هي المنعة والقوى وهي حلم الاجيال وطريق الخلاص . واعلموا بأن ما أخذ بالسيف بالسيف يؤخذ .

وقد تلا وصية صقر الجبل ابنه منصور الاطرش خلال الحفل الجماهيري الكبير .

جاء في الوصية :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

اخواني وابنائي العرب ، عزمت وانا في ايامي الاخيرة انتظر الموت الحق ، ان اخاطبكم مودعا وموصيا . لقد أولتني هذه الامة قيادة الثورة السورية الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي الغادر . فقمت بامانة القيادة وطلبت الشهادة وادبت الامانة .

« انطلقت الثورة من الجبل الاشم جبل العرب لتشعل ونعم وكان شعارها الدين لله والوطن للجميع .

« واعتقد انها حققت لكم عزة وفخارا وللاستعمار ذلا وانكسارا .

« وصيني لكم اخوتي وابنائي العرب هي ان امامكم طريقا طويلة ومشقة شديدة تحتاج الى جهاد وجهاد . جهاد مع النفس وجهاد مع العدو فاصبروا صبر الاحرار . ولتكن وحدتكم الوطنية وقوة ايمانكم وتراص صفوفكم هي سبيلكم لرد كيد الاعداء وطرد الغاصبين وتحرير الارض .

« واعلموا ان المحافظ على الاستقلال امانة في اعناقكم بعد ان مات من اجله العديد من الشهداء ، وسالت بالوصول اليه الكثير من الدماء .

« واعلموا ان وحدة العرب هي المنعة والقوة وانها حلم الاجيال وطريق الخلاص .

« واعلموا بأن ما أخذ بالسيف بالسيف يؤخذ ، وان الايمان اقوى من كل سلاح ، وان كأس الحنظل بالعز انتهى من ماء الحياة مع الذل ، وان الايمان يشحن بالصبر ويحصد بالعدل ويعزز باليقين ويقوى بالجهاد.

« عودوا الى تاريخكم الحافل بالبطولات الزاخر بالامجاد لاني لم ار اقوى تأثيرا في النفوس من قراءة التاريخ لتنبيه الشعور وايقاظ الهمم ، لاستنهاض الشعوب لتظفر بحريتها وتحقق وحدتها ونرفع اعلام النصر .

« واعلموا ان التقوى لله والحب للارض ، وان الحق ينتصر وان الشرف بالحفاظ على الخلق وان الاعتزاز بالحرية والفخر بالكرامة وان النهوض بالعلم والعمل ، وان الامن بالعدل وان بالتعاون قوة .

« الحمد لله ، ثم الحمد لله ، لقد اعطاني عمرا فقضيته جهادا وامضيته زهدا ، تبتي وهداني واعادني لاخواني ، اسأله المغفرة وبه المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل .

« أما ما خلفته من رزق ومال فهو زهد فلاح متواضع تحكمه قواعد الشريعة السمحاء » .

سلطان باشا الاطرش

شكلت ثورات سلطان مركز الثقل في سوريا كلّها من الجبل إلى دمشق إلى حَلب

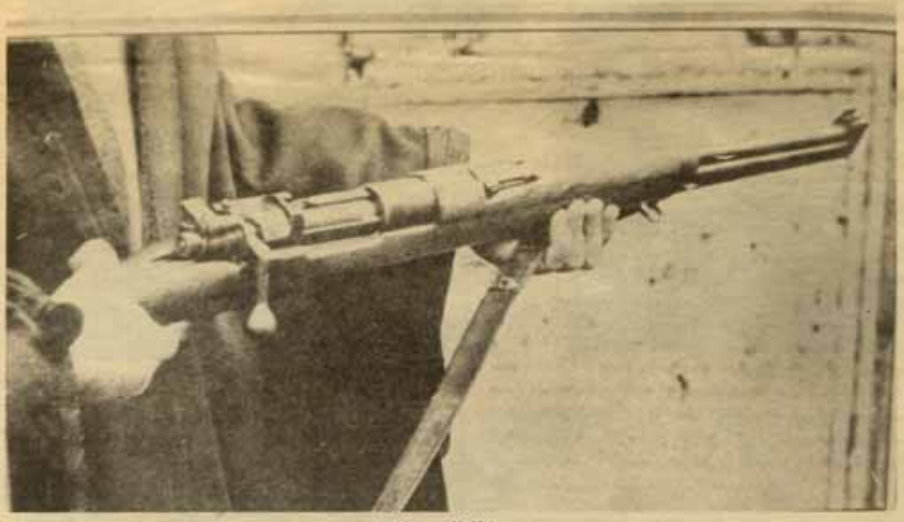

رشيقة العبر « المدلة »

الضباط الفرنسيون عندما كانوا يفرضون على المواطنين تقديم السلاح

دبابات الفرنسيين التي صادرها الثوار

بعض المشاركين في ثورة ٢٥ — ٢٨

القرية أو « القريا » (مع تشديد الياء) عرين سلطان

الجنود لمهاجمتنا والقضاء علينا ، وكانوا مجهزين بالرشاشات الاوتوماتيكية . وصادف ٢١ مايو ذكرى الثلاثة الثورة الاولى ١٩٢٢ ، فاندلع الثوار بروح تلك الذكرى ، وكنا بشاة وبعض المقيلة ، سلاحنا السلاح الابيض ، وبعض البنادق الثانية والمركبة . عقدنا اجتماعا قررنا فيه الخطة ، وقررنا الاندفاع نهارا باتجاه المعسكر .

ملكت المشاة طرقات الجبال الوعرة ، أما الفرقة فسلكوا طرقات اقل وعورة ، واطبقنا على الكتيبة من جهتين كالكماشة ، التي لم تتمكن من استعمال كافة اسلحتها : لقلة فائدتها ، واتساعها خلال اربعين دقيقة . وتم بتمكن كافة المجاهدين من المشاركة فيها لان البعض وصل وكان كل شيء قد انتهى . خسرنا خمسين شهيدا ، بينهم أخي محمظي . واستولينا على السلاح والذخائر والمؤونة والخيول .

اهمية هذه المعركة — يقول سلطان باشا الاطرش — انها كانت ناجحة عسكريا — وسياسيا ، بحيث اعادت الثقة الى النفوس بالقدرة على مواجهة الاستعمار . وتوالت معارك كثيرة شبيهة بمعركة الكفر .. معركة المزرعة وغيرها .

كانت كلها معارك صاعقة ، وضارية ، كنا نعتمد السلاح الابيض غالبا ، لان نفوسنا كانت عامرة بالايمان والثقة والشجاعة . واجهنا دبابات فرنسا بالسيوف والخناجر ، وواجهنا الطائرات بالمعلقة « البندقية الفنية » . في الكفر حجم ملح شهباء ، وهو حامل البيرق ، وفرسه في جسد رأسي الرشاش نصرته . ولكن ملح استشهد غيابا بعد في المعركة نفسها .

وفي معركة المزرعة كان الخيال بنا يكر على الصفحة ، وينثل اليها ، فيقل فائدها بالضجر . ويكر على الجنود فيقطع رؤوسهم بالسيف وهم المحجوز بالسلاح . ولم يكن اسطره ما ذكر عن الفوار من انهم كانوا يسدون حوافر الخيانات بكرباجهم البيضاء .

"هكذا روى « صقر الجبل » بعضا من بطولات ومعارك . ونسم ان ما تثر في فرنسا بالذات من تلك البطولات والمعارك ، وبالذات عن بطولته بشارب « كانوا راحت تروي الوقائع كالاساطير : بعضهم قال ان الشياطا بيضاء كانت تقاتل وتفر الى الخيانات والصفصاف ، اشباح بيضاء تروح وتجيء .. انه فهم غربي لبطولات الشرق .

ماذا عن الحاضر والمستقبل ؟

سلطان باشا واضح الرؤية

بما قاله في اكثر من مناسبة :

— العرب في جبل الدروز ، او في اي مكان من الوطن العربي يستطيعون واحدة ، كلنا في سبيل الوطن . واسرائيل تحتاج زرع المشاكل وتغرية العرب عندما تبت الاتهامات حول مواقف بني معروف . لكنس دائما ان نظل متحدين .

— عن المتدائين يقول سلطان :

— ان هؤلاء لا يمكن ان نتساهم على طول الزمان . انهم في نضحياتهم من اجل القومية العربية يقدمون الغالي الاسمى ، فهم مخدرون في حياتهم وفي مماتهم ... ان ما اخذ بالسيف ، بالسيف يؤخذ .

وكان سلطان باشا يعلق على حملة عدائية كانت بها مجموعة من المتدائين بقيادة شاب درزي في حديقة المخالصة في الارض المحتلة .

الشاب الدرزي « ابو سامي » قائد العملية ارسل — يومذاك — الى سلطان باشا الاطرش « الدم بالدم » كما قال في رسالته قال فيها انه ذاهب للموت ليسير على طريق البطولة التي سار هو فيها .

وفي رأي سلطان باشا الاطرش :

— لا اعتقد ان بالامكان قيام سلم بين العرب واليهود . لانه لكي يكون هناك سلم ، لا بد من ان يسترجع العرب كل ارادتهم ، وستظل المسألة معقدة ، ما لم يسترد العرب الراضيهم وتعود فلسطين لشعبها . اليهود يدعون ان لهم حقا في فلسطين ، وهذا باطل ، فالعرب اصيلون في الارض تاريخيا وحضاريا . لكن طلائع اسرائيل والدول الكبرى سيبت زرع هذا الكيان في بلادنا ، ان وجود اسرائيل يهدد العرب ، وعليهم كلهم والانتصار على حلالهم ومراميها .

ولا بد من التضامن العربي لنحر اسرائيل ، والانتصار لا يكون بغير الايمان والعقيدة . نعتمدها حبل الفرنسيون على جبل الدروز محاولين تغيير عقائده ، ثم يدخل المواطنون ، فتاوا . وكان الشباب يهجمون موجات من ٢٠ الى ٣٠ مقاتلا تواجههم جنود فرنسيون يبلغون ١٢ الفا . ومن لا يحمل سلاحا يحمل حجرا . والنصر الايمان والنصرت العقيدة .

— لا بد من وضوح اليد ضد فارضنا او اي حق من حقوقنا ، لا يمكن اعادتها عن طريق السلم كما يتوهم اليمض . بعد ان نجح المعتدي باحتلال البلاد بعد معركة يستون واستشهاد البطل يوسف العظمة ، واستخرجنا جيش المعتدي الى حيث استطيع قتاله واقضاء عليه ، سواء في جبل الدروز ، او في جبال اللاذقين ، او في اي نقطة يحتل او في منطقة حلب . كان الهدف واضحا امامنا: عدو غاصب محتل ونحب بحث عن طريق الخلاص .

— عندما يعرف الشعب حقيقة العدو الذي يحاربه هذا الشعب بصبح قوة جديدة لا تقهرها الدبابات ولا الطائرات . ان طريق التحرير يبدأ بتوحيد الكلمة ومعرفة العدو .. وبهما انظم الخطب ، فان قدرات أمتنا تستطيع تجديد التكلم ، وقهر الظلم وردع الجور .. الاعداء الذين يحاربوننا هم اعداء الله ، اعداء جميع الرسل والانبياء ، اعداء جميع القيم السموحب والامم ، لذلك لا بد ان ينتصر عليهم بامن الله وبمعارك الانبياء والرسل .

— ان العرب فانتهم فرص كثيرة للوحدة ، ولذا لم ينتصر القريسل الوحدوي ، وانتصاره محتم ، فسوف تدمر امال الشباب العربي ، وجهدا طالت الايام سياتي يوم يتماسك فيه العرب ، ونحن ممن لا يقبلون اختيارا للمستقبل في مسيرة التحرر والوحدة .

— العرب يتشكلون اليوم حالة انبعاث واضحة : سوريا بقيادة قائدها الفريق حافظ الاسد تقود جبهة الصمود والتصدي ، وتسعى بكل ظلمها لتوحيد كلمة العرب ضد المخاطر الاسرائيلية — الاميركية ، بينما نرى نهج القيادة الاخرى استسلاميا ومعاهدة كمب ديفيد دليل على ذلك .

سنوات الصحراء والعودة والسنوات الصعبة ايضا

اكثر من خمسة الاف شهيد كانت حصيلة ثورات المشرقيين من دروز جبل العرب ، بينهم قادة بارزون . تدمير قرى عدة ، احراق ممتلكات، تشريد وتهي قسري . وقد اختار سلطان الصحراء كمنفى اختياري ولا القبول باي تنازل للاستعمار . عشر سنوات في الصحراء ، كما تكونا ، قاد بعدها مع معاهدة ١٩٣٦ الى الوطن ، رغم انه كان يقول : اظل وطنا .

في الصحراء كان يعمه الاجير عادل ارسلان ، وصباح المحمود وعلي عبيد وغيرهم الكثير . المحمود غنى الماضي يزجل اصبح مذاولا على كل شفة ولسان ، يومها قال :

يا ديرتي يما لك عليا قوم
لا تحتبسي فوسك على سن خان
حنا روينا سيوفنا من القسوم
مسا نرضخك حل الذي بالسان
ونفسز ثورة قايدها سلطان

رفض سلطان مفاوضة المندوب البريطاني " كوكس " ، ورفض المصطوفات عليه ، وانتقل الى الصحراء في السعودية في « وادي السرحان» قرب « تربات الملح » ... عاشوا اصعب السنوات في الخيام ، وان قدمت لهم عروض ومساعدات ، لكنهم اعتمدوا على انفسهم لما لسلطان باشا الاطرش من الله وعزة وكرامة وحب للارض وتعلق بها .

ومع معاهدة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ ، عاد الى سوريا ، الى الجبل الصامد المقاتل للشراك مجددا في الجهود التي بذلت سلما وحربا لاستقلال سوريا عام ١٩٤٥ .

ومع العام ١٩٤٧ كانت تلم غمة في سوريا ، والجبل بالقات قبولا حكمة الباشا وسلطته والاحترام الذي يكنه له شعب سوريا العربية وقيادتها المخلصين .

ومع بدء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وعد الى انشاء جيش انقاذ عقدت عليه القيادة قائمة مقاتلين راهنوا سلطان باشا في ثورته . وكان قائد ثورات العشرينات يؤكد ان فلسطين لا تحميها الا البنادق ، بنادق الشعب ويشادق الجيوش اذا كانت قيادتها خائنة .

دمشق تحتفي بشران الفرنسيين في عهد الثورة

سلطان باشا:

- كنا في سبيل الوطن
- الفدائيون يقدمون المثل الأسمى
- لا سلم بين العرب واليهود
- لا بد من التضامن العربي
- لا بد من وضوح الهدف

وفي العام ١٩٥٤ ، رفض التعاون مع الشيشكلي ، وفضل المنفى مجددا ، رفض هبة الشيوخ ، ولا القبول بتسلط وتجبر ودكتاتورية حكام فرنسا دكتاتور صغير . فلجأ الى الاردن مجددا . لكنه عاد بعد سقوط الشيشكلي عودة الابطال ، كما عاد في المرة الاولى ، اذ هبت سوريا لاستقباله وتكريمه .

ومع نجم الوضع في سوريا ، وقيام العهد الوحدوي بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر وحزب البعث العربي الاشتراكي ، كان لسلطان باشا الاطرش دعم دائم للوحدة وللنضال التحرري المتدق فساده ضد التامر ضد الاستعمار بكامة انسكاله . من هنا كان لقاؤه مع عبد الناصر لقاء الابطال .

كذلك كان لسلطان باشا الاطرش دعم كبير للثورة الوطنية التي قادها الفقيد المجاهد الشهيد كمال جنبلاط ، اذ كانت هناك صلات صميمة بين جبل لبنان الوطني وجبل العرب الوطني ... كانت صلات كثيرة ربما بين المعلم كمال جنبلاط ومن المجاهد الكبير سلطان الاطرش ... ابرزها صلات المواجهة الصامدة لكافة انواع الاستعمار والتسلط ... وكثيرة هي المناسبات واللقاءات التي تكرست فيها تلك الصلات بحيث اصبحت قاعدة النضال المشترك بين الجبلين في اطار النضال التحرري العربي الشامل . ولقد جاء كلام سلطان باشا الاطرش عن المعلم عندما استشهد ، جاء كلاما معبرا ، عندما قال : لقد كسر جناحنا .

وهاتي صقر الجبل ، سلطان باشا الاطرش ، خلال الصفات والسجيات ، على مجرية من الاحداث ، بفعل فيها توجيها وتوجيه وبشكل معين تجربة نضالية لا يتشبب . ولقد استطاع ابناء بتصور ان يجد جانبا نضاليا في حياة والده . فيتصور الاطرش ، كان قد درس الحقوق في جامعة باريس ، وفكر بالمحاماة عن قضاء صدقد سنة ١٩٥٤ ، وساهم في جانب من العمل الوطني الى جانب سلطان باشا الاطرش والده ، اصبح احد قياديي حزب البعث العربي الاشتراكي بعد ان انضم اليه عام ١٩٤٦ ، وترأس عام ١٩٦٣ وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وعين عضوا في مجلس الرئاسة عام ١٩٦٤ .

لكن قرنا من الزمن اكثر من ثلاثة ارباعه في النضال ، يحتاج الى اجيال لتجسيده .. وكم هو جدير بكافة المناضلين المستقبل ، ثورة او اصلاحا ، ان يستوحوا هذا القرن من النضال بكل اشكاله .

سلطان باشا الاطرش ، عندما ودعته الامة العربية يوم الاحد ٢٨ اذار « مارس » ١٩٨٢ ، انما كانت تستعيده ، تزومه في ذاتها اعلا في ان يلتحم الزرع .. والعلا في ان يكون اذار كمال جنبلاط واذار سلطان باشا الاطرشين ربيعا لهذه الامة .

لوحة لصقر الجيل وسط الورود والزهور

قائد الثورة ونجمها

السوداء اصطخبت بالجماهير تودعها وابنيها

افترشوا الارض حول صورة القائـــد الراحل

بطاح جبل العرب .. ارض سلطـــان

يحاول لو يستطيع رفع صورة سلطان الى السماء

كلّهم إنزرعوا على الدروبّ في طريقهم لوداع صَقر الجبَل

احدى اللافتات النادرة التي رفعت في يوم الوداع الكبير .. الشويفات تشارك جبل العرب في وداع بطل العرب

وحدة ـ حرية ـ الشتراكية في يوم سلطان

سلطان باشا الأطرش / نتفة من ا

النفرس في بيئته . ورث فيها واصالة وشجاعة مشفوعة بالنبل . وكثل الفرسان المتفوقين لاعمال كبرى زاده الوهج تواضعا واناقة . لو كان همه اقتناص الجاه لما كان تعب في السير اليه . كانت له هموم اخرى . فقد كان يهجس بكرامة الارض وكرامة الانسان معا . فما فرط في حبة تراب ولا قبل صداقة ظالم . ولانه ربط مصيره بمصير الحرية والكرامة لارضه وساكنيها كان عليه ان يعيش كل الذي عاشه .

كان في مطلع شبابه حين رافق والده لمواجهة حملة سامي باشا الفاروقي . فالسلطة العثمانية كانت لا تنفك تحاول اخضاع الجبل . وكان على الوالد ان يدفع الثمن فادحا بسبب جناوحه للعثماني المحتل . على يد سلطان باشا الاطرش تحول الجبل الى قلعة لا تصاع لغاصب ولا تهادن محتلا . وكان لمواقفه الفضل في نفخ نار الثورة في السكان . كان قدوة لم يثنه عن عزمه ضعف الامكانات . وكانما حاول ان يعوض ذلك بصلابة المواقف واتخاذ قرار الموت الذي هو بالفعل قرار الحياة .

لا يمكن كتابة تاريخ منطقتنا في هذا القرن من دون التوقف طويلا عند سيرته . فيها محطات مضيئة . اعلى منارانها القول انها مدرسة يحسن الرجوع اليها . فلا يمكن الكلام على الثورة العربية الكبرى من دون قراءة دوره فيها . فهي سميت ايضا ثورة سلطان باشا الاطرش . وكبيرا كان حين ينتصر . ولم تكن الشدائد تهد عزيمته او تجعله يلين . صلب وصابد وصبور . وكما كل الكبار يترفع عن الاذية وانتهاص الفرص والتسلق على دم الاخرين . كل هذه الصفات كرسته قائدا . فبدل ان يرسل الناس الى المعارك كان يقودهم اليها . وبدل ان يدفعوا الاذى عنه كان يدفعه عنهم . معاركه ضد الانتداب الفرنسي لم تنسها الكتب . لكن ضمير الناس حفظها ونقلها الى الاجيال الجديدة لتشب في رحاب مدرسة سلطان باشا الوطنية . الفرنسيون اصدروا في حقه احكاما عدة بالاعدام . لم يقنعه ذلك بالمهادنة . فلو كان يخشى الاعدام لما اضرم النار واستحال رمزا في سوريا ولبنان وفلسطين .

بغيب سلطان باشا الاطرش في مرحلة دقيقة من تاريخ المنطقة . مرحلة آلام ونزق . لكنه قبل ان يغمض عينيه للمرة الاخيرة شهد دروز الجولان يناوحون المحتل الاسرائيلي ويتعلقون بالهوية والارض . وهو ابدى ثقته بمنادبهم وقبل ايام من غيابه انتفضت الضفة كانها تذكر ان مدرسة حناوي المحتل لا تزال تنجب . وربما هذا بعض ما يعزي رجلا كان كجبل في الجبل .

حين تغيب الرموز يصبح من الواجب اضاءة كل جوانب سيرتها . فتاريخنا كتب خطأ بعض الاحيان . وكتب على عجل احيانا اخرى . واليوم في ظل تمزق الارادات وتزايد الهجمات تحسن العودة الى المدارس والمنارات . تحية وداع يا سلطان باشا الاطرش . تحية وداع ولقاء وبقاء . فانت بيننا من قديم الزمان والى الزمان الباقي . فقد تقيصت كل فرد من هذه الامة ونقيصتك هي . حتى لكاننا ونحن نودعك نودع بعضا منا بيننا انت باق كلك معنا وبيننا . لقد تردد الموت طويلا قبل ان يبلغك مذكرة الجلب . واخيرا استأذنك للدخول . فسمحت له . ورافقته راضيا مرضيا . تحية وداع ايها الجبل الذي كان ، وسيبقى ، جبلا في الجبل ومن الجبل .

ميشال ابو جودة

سلطان رجل التاريخ والبطولة.. مع عبد الناصر

نضال من أجل لبنان وسوريا والعروبة

هدية جريدة الأنباء